وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المكتبة
168/ع

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب و اللغـــــات
ميدان اللغة العربية و الأدب العربي

800/69/01/01

عنوان المذكرة :

صورة المرأة في الرواية العربية من خلال رواية غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد

تخصص الأدب العربي

إعداد الطالبات:

- حياة ماضوي
- فاطمة تيس
- هالة بن موسى

إشراف الأستاذ:

إبراهيم لقان

السنة الجامعية: 2010-2011

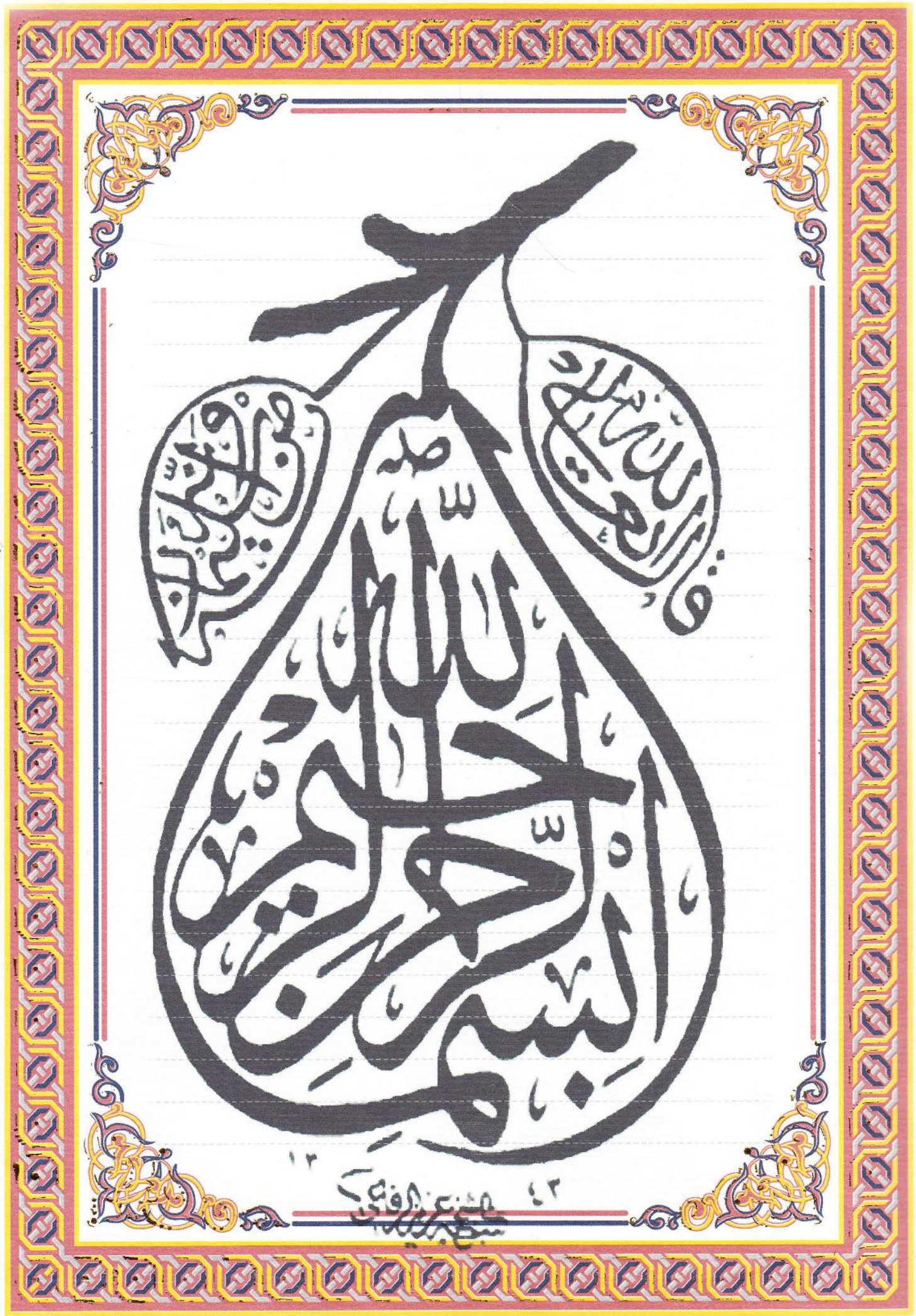
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمان الرحيم

إلى من أرضعتني قيم الوفاء و محبة الناس إلى منبع الحب و مستودع الأمان إلى زهرة الأقحوان إلى الشمعة التي أنارت درب حياتي.....أمي حورية.

إلى من يسكن قلبي الغالي العزيز الذي علمني حب العمل.....أبي السعيد

وإلى روح الغالية العزيزة على قلبي .....جدتي رحمها الله و إلى جدتي ربيحة أطال الله في عمرها.

إلى إخوتي و أخواتي منبع النور بين الشفق و نجمة الصباح جهيد،نسيمة،محمد،أحسن،أسماء

إلى أعمامي و زوجاتهم و عماتي و زوجاتهن و خالاتي وأخوالي و كل أبناء عمي خاصة:عبد الرحمان،عبد الجليل و حميد و كل عائلة ماضوي.

و صديقاتي كل واحدة باسمها،نسيمة و خطيبها،زهية،سامية،شافية،راوية،بسمة،هالة،فاطمة. عفاف

و زملائي و زميلاتي في الدراسة:سميحة،فريد،بدرو،علاء،ياسين، بلال

كما أهدي هذا العمل إلى كل من ساعدني في إنجازه قريبا كان أو بعيدا و بالخصوص السيد أوشيكن محمد.

و من زودني بنصائحه و معارفه للمضي قدما و رفع من معنوياتي"حميد".

دون أن انسي الأستاذ المشرف -**لقان ابراهيم** -الذي طالما قدم لنا النصح و الإرشاد.

و إلى كل طلبة دفعة 2011.

حيـــاة

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا هدانا الله.

بدمعة فرحة النجاح الممتزجة بدمعة فراق الأحبة،أهدي ليونة صبري و ثمرة مسيرة عدة سنوات دراسة حافلة بالآمال ،إلى من لا أنسى فضلهم عليّ:فضل الله الذي أحيا فيّ الإرادة و العزيمة ،وفضل الوطن الذي أحيا على ترابه و فضل والديّ. أهدي ثمرة جهدي إلى من كان قلبي و الروح التي تسري في جسدي ، إلى من كان و سيضل عزمي وقوتي،إلى من كان لي الصدر الدافئ الحنون و الصبور ،والدي العزيز أطال الله في عمره.

إلى التي نصحتني و علمتني معنى الحياة ،إلى رمز العطاء إلى أحلى روضة عرفتها السماء –**أمي الغالية**– أطال الله عمرها–

إلى الذين قاسموني كل لحظة من لحظات عمري ،إخوتي

الأعزاء:نجوى،صبرينة،رانيا،فريد،ياسين،بلال،سفيان وأزواجهم و زوجاتهم:حنان ،فريدة،عبد الرزاق،عبد المالك،وإلى كتاكيت البيت :يحيى ،أنفال،آلاء.

إلى نور حياتي و الأم الثانية إلى من علمتني كيف أحيا إلى الصدر الحنون جدتي –رحمها الله–

إلى أخوالي :عبد الكريم،عبد الله،بلقاسم،و زوجاتهم:زينب،رشيدة.

إلى من علمني أن الحياة سلاحها التحدي، وزرع في نفسي حب العمل،أستاذي الفاضل(مسعود بن ساري) الذي أتمنى له النجاح و التوفيق في مشواره الدراسي.

إلى جميع صديقاتي خاصة:رقية،وسيلة ،لمياء،نسيمة ،هالة ،نجاة،منى ،حياة،نعيمة،سهام،فايزة،دون أن أنسى زملائي في الدراسة :فاتح،سامي،شوشو،قسم الأدب عربي دفعة–2011–خاصة أميرة ،سارة،منى،فيصل،عزيزة،كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى كل من أمدنا بيد العون و المساعدة من قريب أو من بعيد للقيام بهذا العمل المتواضع.

كما لا يفوتني أيضا تقديم الشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل المشرف على هذا العمل" **لقان إبراهيم**"–أطال الله في عمره–

إلى كل من وسعهم قلبي و لم تسعهم هذه الورقة.

فاطمة

بسم الله الرحمان الرحيم

إلى من تقف كلمات الحب تحت اسمها،إلى الصدر الحنون،إلى نور حياتي و دربي،إلى من حملتني وهنا على وهن،إلى أمي الحبيبة"زينة"أطال الله عمرها.

إلى شعاع أملي و سراج طريقي و رمز عزتي و فخري ،إلى من كان سندا لي وعونا في الحياة، إلى الذي كد وجد لبناء مستقبلي ،إلى أبي الغالي "عبد المجيد".أطال الله في عمره.

إلي أخويّ الحبيبين تاج رأسي :رمزي و أسامة ،إلى أختيّ العزيزتين ورفيقتيّ و صديقتيّ في الوقت نفسه،غنية و المدللة مريم.

إلى كتكوتي العائلة:عبد المؤمن وعبدو.

إلى كل عائلتي :أعمامي،عماتي،خالاتي،أخوالي و خاصة زوجة عمي "ياسمينة"،و زوج أختي "إبراهيم"،و إلى روح خالتي الطاهرة "جميلة" ،وكل عائلة بن موسى صغيرها و كبيرها.

إلى جميع صديقاتي:حياة،فاطمة،بسمة،راوية وأمها حورية ،شافية،عفاف،لبنى،ابتسام،وخاصة نسيمة وخطيبها مسعود.

إلى جميع زملائي و زميلاتي:سارة ،منى،عزيزة،أميرة ،رقية،إيمان،سميرة،سيف،بدرو،ياسين،علاء،بلال،حميد و بالخصوص عصام و رشيد.

إلى جميع أساتذتي كل واحد باسمه، و خاصة الأستاذ الفاضل الذي كان لنا السند و العون المشرف- **لقان ابراهيم**- الذي طالما قدم لنا النصح و الإرشاد،و إلى دفعة 2011.

و إلى كل من وسعهم قلبي و لم تسعهم هاته الورقة.

هالـــــة

مقدمة

مقدمة:

لا زال موضوع المرأة يعد من المحاور الرئيسية في أحاديث الأدباء و المفكرين باعتبارها تمثل أساس طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة و خارجها،فقد حظيت المرأة العربية باهتمام كبير من طرف الأدباء،ولا سيما منها المرأة الجزائرية،فالكاتب يعمل على تجسيد سلوكياتها في أعماله الإبداعية، وإبراز مواقفه لها ،وتبعا لتلك الرؤى اخترنا رواية"غادة أم القرى"للكاتب و الشهيد الجزائري "أحمد رضا حوحو" تحديدا معتمدين في دراستنا هذه على أهم الصور المجسدة للمرأة و التي أبرزها لنا الروائي حسب توجيهاتها و نظراتها.

أما الأسباب الموضوعية لاختيار هذا الموضوع ،فهي قلة الدراسات حول هذه القصة،حيث لم نعثر إلا على القليل منها،خاصة وأن "أحمد رضا حوحو" درس الواقع المرير من خلال تصويره الحقيقي للمرأة العربية في قصته هذه ،والتي تعد من بواكير أعماله القصصية، ومن أهمها في الوقت نفسه،إلا أنها لم تنشر في حينها ،ولم يكن ذلك إلا بسبب مضمونها الثوري، وما لفت انتباهنا في هذا الموضوع هو "صورة المرأة في رواية غادة أم القرى" ولأنها تعالج بشكل جديد و جريء موضوعا اجتماعيا في غاية الحساسية ،ألا و هو موضوع المرأة ،الوضع الاجتماعي المتردي، و الوضع العاطفي الذي يعد من المحرمات في المجتمعات العربية آنذاك .

و قد تضمن بحثنا –هذا –مقدمة و فصلين ،الفصل الأول كان نظريا تناولنا فيه صورة المرأة في الأدب العربي عبر العصور:من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث وهي صورة ركزت في الغالب على الجوانب الحسية ،أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا، تضمن في بدايته تعريفا بالكاتب ،تلاه عرض موجز للرواية ،ثم تبعه تفصيل لصورة المرأة في رواية "غادة أم القرى" من خلال نماذج : صورة المرأة العاشقة ، صورة المرأة الأم،لنصل في الأخير إلى خاتمة لخصنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

أما الصعوبات التي واجهتنا فتتمثل في صعوبة الحصول على المصادر و المراجع المتعلقة بهذا الموضوع –مع شحها في مكتبة المركز– إلا أننا بعون الله و فضله و فضل الأستاذ المشرف و بعض الجهد استطعنا أن نذلل بعض الصعوبات .

أما المنهج الذي رأيناه مناسبا لهذا العمل فهو المنهج التكاملي الذي يتناول العمل الأدبي من جميع نواحيه ، ولا يغفل القيم الفنية في العمل الأدبي، و قد كانت الغلبة للمنهج الفني الذي فرض نفسه في التعامل مع النصوص المقتطفة من الرواية وتحليلها .

وفي الأخير نرى أنه من الواجب أن نتقدم بالشكر إلى جميع أعضاء الهيئة الإدارية لمعهد الآداب و اللغات بالمركز الجامعي لميلة،وعلى رأسهم:الدكتور:رابح الأطرش.

و إلى كل من مد لنا يد العون و المساعدة من قريب أو من بعيد و لو بكلمة تشجيع لإنجاز هذا العمل المتواضع.

كما يسعدنا أن نتقدم بجزيل الشكر و خالص التقدير إلى أستاذنا الفاضل-إبراهيم لقان- الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة و الذي منحنا من وقته و جهده الكثير و الذي لم يبخل علينا بنصائحه و توجيهاته،كما يسعدنا أيضا أن نوجه جزيل الشكر إلى جميع أساتذة الأدب العربي.

الفصل الأول

صورة المرأة في الأدب العربي عبر العصور :
من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث

I. المرأة في العصر الجاهلي .

II. المرأة في العصر الإسلامي و الأموي .

III. المرأة في العصر العباسي .

IV. صورة المرأة في الرواية العربية الحديثة و المعاصرة

و علاقتها بالواقع .

I. المرأة في العصر الجاهلي :

لقد كانت المرأة و لا تزال في كل الآداب و الفنون موضوعا أساسيا و ظاهرا من الموضوعات التي يعني بها الفنان و الشاعر و الكاتب باعتبارها العامل المثير للإحساس و العطف و الحنان و الحب ، و باعتبارها الموضوع الذي تمثله الفنان و الشاعر نموذجا للجمال و قد كان الشعر الجاهلي من الفنون التي استأثرت فيها المرأة و الأهمية ، مما حمل الدارسين على الاعتداد بها و اعتبارها الجزء الذاتي في القصيدة .

وقد كانت صورة المرأة في الأدب الجاهلي تتمحور حول أمرين أو صورتين و هما المادي و المعنوي ، الأمر المادي و قد ركز فيه الشعراء على الوصف الحسي للمرأة ، أما الأمر المعنوي فركزوا فيه على الأخلاق و الفضائل .

1 – الصورة المادية:

و هي من الصور المهمة في الشهر الجاهلي ، حيث نجد صورة المرأة الممتلئة الجسم التي تميل إلى البدانة ، و يظهر ذلك جليا عند مجموعة من الشعراء من بينهم" امرئ القيس" في قوله :

مُـهَـفْهَفَةٌ بَـيْـضَاءُ غَـيْرُ مُـفَاضَـة *** تَـرَائِـبُـهَا مَـصْقُولَـةٌ كَالسَّجَنْجَـلِ

تصد و تبدي من أسيل و تتقـــــــي *** بناظرة من وحش و جـرة مطفـل [1]

و كذلك في قوله في وصف معشوقته :

و يارب يوم ناعم قد لهوتـــــه *** بمرتبة الحاذين ملتفـــــة الحشى

برهرهة كالشمس في يوم صحوتها *** تضيئ ظلام البيت في ليلة الدجى

---

[1] – امرؤ القيس بن حجر الكندي : الديوان لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالإمام الشنتمري ، صححه الشيخ بن أبي شنب ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،1974 . ص 74.

أسيلة مستن الوشاح ، كأنمـــــا *** تكسر في أوراكها هابر النقـــى

مضمحة الأردان ، سهل حديثهـا *** لطيفة في الكشح و منانة الخطـــا [1]

نلاحظ هنا آن "امرئ القيس" ركز على التصوير المادي لأعضاء المرأة و نجده يراكم الصور بعضها فوق بعض ، فقد جمع الشكل جمعا كليا في كلمة برهرهة ثم أقرن هذا الاكتمال بصورة المرأة الشمس التي تضيء في الظلام و تبدده وهي صورة حية تظافرت في بناء الحواس .

وفي صورة أخرى لهذا النموذج نجد" امرئ القيس" يركز على صورة الحركة الموحية بالمعنى نفسه ، معنى الإمتلاء و البدانة يقول :

و اذا هي تمشي كمشي ، التريـــ *** ف يصرعه في الكثيب البهر

برهرهة ، رخصـــــــة ،رؤدة *** كخرعوبة البانة المنفطـــر

فتور القيام ، قطيع الكـــــــلا *** م تفتر عن ذي غروب خصر [2]

فهو هنا في تصويره لها يكاد يقيمها أمامنا جسدا حيا متحركا حيث يحرص على إبراز بدانتها لأنه يحتذي صورة مثالية للمرأة كانت تقدس فيها صفة يكاد لا يخلو منها شعر شاعر في مرحلة ما قبل الإسلام .

و نجد كذلك من بين النماذج الجيدة في الشعر العربي نموذج" للمرقش الأكبر" و هو من أشهر العشاق في هذه المرحلة ، حيث يقول :

وفي الحيِّ أبكـــارٌ سبين فؤاده *** علالة ما زوَّدنَ، والحبُّ شاغفـــي

دِقاقُ الخصُورِ، لم تغفر قرونُها *** لشجوٍ ،ولم يحضُرْنَ حمَّى المزالفِ

نواعمُ أبكارٌ ، سرائـــرُ، بدَّنٌ *** حسانُ الوجوه، ليِّناتُ السوالـــفِ [3]

---

[1] – المرجع السابق ص 77 .

[2] – امرؤ القيس بن حجر الكندي الديوان ،ص304.

[3] – علي البطل : الصورة في الشعر العربي حتى أواخر ق 2هـ ، دراسة في أصولها و تطوريها ، ص114

فهو هنا يصورها على أنها بكر معشوقة ، دقيقة الخصر ، منعمة غير متبدلة مركزا على صفة العذرية ، ونلاحظ أنه يرسم صورة موسعة توسيعا عرضيا يضع الصفات بعضها على بعض لينمي جوانب الصورة .

بينها نجد الأعشى يصور محبوبته تصويرا مفصلا في قوله :

يا جارتي، ما كنتِ جارهْ *** بَانَتْ لِتَحْزُنَنَا عُفَـــارَهِ

بيضَاءُ ضَحْوَتُهَا وَصَفْـ *** ـرَاءُ العَشِيّةِ كَالعَرَارَةْ

وَسَبَتْكَ حِينَ تَبَسّمَـتْ *** بينَ الأريكةِ والسّتـارهْ

بقوامها الحسنِ الّـذي *** جَمَعَ المَدَادَةَ وَالجَهَـارَهْ

كتميلِ النّشوانِ تـــرْ *** فلُ في البَقِيـرَةِ وَالإزَارَهْ

ويجيدِ مغزلـــــةٍ إلى *** وَجْهٍ تُزَيّنُهُ النّضَـــــارَهْ [1]

فالأعشى هنا لا يخرج عن التصوير المادي المفصل لمعشوقته ، حيث يلجأ إلى البادية في جلب تشبيهه بالغزال التي تمثل صورة من صور الشمس ، و المرأة هنا مصورة على أنها رمز للشمس ، فهي بيضاء بالضحى و صفراء بالعشية، و النصوص التي تبرز هذه الصورة المتميزة للمرأة كثيرة .

كما نجد كذلك " بشر بن أبي حزم " يعيدنا إلى الصورة التي بدأنا بها عند" امرئ القيس" في قوله :

وفي الأضعانِ، آنسةٌ لعوبٌ *** تيمَّمَ أهلهـا، بلداً وساروا

منَ اللاتي غُدينَ بغيرِ بؤسٍ *** منازلها القصبيـــــةُ فالأوارُ

---

[1] – الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) : الديوان شرحه و قدم له مهدي ناصر الدين ، دار الكتب العامة ، بيروت ، لبنان ص 83 .

نبيلة موضع الحجلين خـــود *** و في الكشحين و البطن اضطمار

ثقال كلما رامت قيامهـــا *** و فيها حين تنبعث انبهـــــار [1]

نلاحظ أنه لا جديد في الصورة فهي صورة مادية جسدية و من الواضح أن هذه الصورة الجسدية قد ارتبطت بالدمى و التماثيل ارتباطا وثيقا في الشعر العربي و يتضح ذلك في قول "الأعشى الكبير" :

وَقَدْ أَرَاهَا وَسْطَ أَتْرَابِهَا، *** في الحَيّ ذِي البَهْجَةِ وَالسّامِرِ

كَدُمْيَةٍ صُوّرَ مِحْرَابُهَـــا *** بِمُذْهَبٍ في مَرْمَرٍ، مَائِـــرِ [2]

نلاحظ أن الصورة على شكل دمية موضوعة في محراب وهي صورة دينية محضة فالشعراء كانوا يشبهون المرأة بالثريا، و هي من الأمور المقدسة عندهم .

هذا "النابغة الذبياني" يصف محبوبته بقوله :

بيضاء كالشمس وافت يومها *** لم تؤد أهلا ، و لم تفحش على جار [3]

إذ نلاحظ نوعا من القدسية التي يخلعها الشاعر على هذه المرأة ، و على شاكلتها ما نجد له مثيلا في قول أمرئ القيس:

كَبِكْرِ المُقَـــانَاةِ البَيَاضَ بِصُفْـــرَةٍ *** غَـــذَاهَا نَمِيْرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّـــــلِ

تُضِـــيءُ الظَّلامَ بِالعِشَاءِ كَأَنَّمـــــا *** مَنَـــارَةُ مُمْسَى رَاهِـــبٍ مُتَبَتِّـــلِ [4]

---

[1] – امرؤ القيس : الديوان ص 554 .

[2] – الأعشى الكبير : الديوان ص 91.

[3] – النابغة الذبياني : الديوان ، تحقيق و شرح : كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ،ص49

[4] – امرؤ القيس :الديوان ص 75 .

كما يضعنا "طرفة بن العبد" أمام صورة تتحقق فيها الصورة المثال للمرأة في قوله هذا :

وفِي الحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ المَرْدَ شَادِنٌ *** مُظَاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ

خَذُولٌ، تُرَاعِي رَبْرَباً ... بِخَمِيْلَه *** تَنَاوَلُ أَطْرَافَ البَرِيْرِ وتَرْتَدِي

وتَبْسِمُ عَنْ أَلْمَى ... كَأَنَّ مُنَوَّراً *** تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٍ لَهُ نَدِ

سَقَتْهُ إِيَاةُ الشَّمْسِ إلاّ لِثَاتِهِ *** أُسِفَّ، وَلَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ بِإِثْمِدِ

ووَجْهٍ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِدَاءهَا *** عَلَيْهِ، نَقِيِّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدِ [1]

فهذه الصورة تجتمع فيها تشبيهات تربطها بالنظائر المقدسة للشمس في القديم و هي تشير إلى أصلها الديني مصورة المرأة الشمس و الغزال و كل هذا يخلط في جوانب الصورة و لا يتمايز ، و نجد " الأعشى " لا ينفصل عن التقليد الفني القديم في صوره الأسطورية ، في قوله :

عهدي بها في الحي قد سربلت *** هيفاء مثل المُهْرة الضامر [2]

2 – *الصورة المعنوية:*

مع ما لاقيناه من تصوير شعراء ما قبل الإسلام للمرأة ، الذي كان مقصورا فقط على الجانب المادي الجسدي ، فان هناك جانبا آخر لصورة المرأة تجسد في الجانب المعنوي أو الصورة المعنوية الذي تمثلها الأخلاق و المفاضل، و تراءى هذا الجانب من خلاص الأوصاف و التشبيهات الواردة ،حيث نجد من ذلك ما قاله "بشر بن أبي حزم" في أبيات له عن المرأة و هي مذعورة و خائفة :

---

[1]- طرفة ابن العبد : الديوان ، دار الكتب العامة ، بيروت ،لبنان. ص 48

[2]- الأعشى الكبير الديوان ص91.

تبيت النساء المرضعات برهوة *** تفر من خوف الجنان قلوبهـــــا

بنى عامر، إنا تركنا نساءكم *** من الشل والإرجاف تدمى عجوبها [1]

فهن مهاناة أمام هزيمة أهلهن حيث صرن في الأسر مشعثات و مذعورات .

وهناك من صور الجانب الخلقي للمرأة على نحو ما نجده عند "علباء بن أرقم" الذي يصور سوء خلق زوجته و مناكدها فهي متقلبة لا تقر على حال ، راضية أحيانا و شرسة ضارية أحيانا أخرى ، حيث يقول :

ألا تلكما عرسي تصد بوجهها *** وتزعم في جاراتها أن من ظلـــم

أبوها ولم أظلم بشيء من عملته *** سوى ما ترين في القذال و في القدم

فيوما توافينا بوجه مقســـــم *** كان ظبية تعطو إلي ناضر السلـم

ويوما تريد مالنا مع مالهـــــا *** فإن لم ننلها لم تنسنا ولم تنـــم [2]

و يصور " الشنفرى" إعجابه بحياء المرأة و عفتها، فيقول :

لَقَدَ أعْجَبَتْنِي لاَ سُقُوطًا قِنَاعِهَـــا *** إذَا مَـــا مَشَتْ و لاَ بِذَاتِ تَلَفُّـــتِ

تَبِيتُ بُعَيْدَا لنَّوْمِ تُهْـــدِي غَبُوقَهَا *** لِجَـــــارَتِهَا إذَا ما الهَدِيَةُ قَـــلَّتِ

تحل بمناجاةِ مِنَ اللَّـــــومِ بَيْتُهَـــا *** إذَا مَا بُيُوتٌ بِالمَـــــلاَمَةِ حُـــلَّتِ

كَأَنَّ لَهَا فِي الأَرْضِ نَسْيًا تَقُصُّـــــهُ *** عَلَى أمِّهَا و إنْ تُكَلِّمْكَ تَبَـــــلَتِ [3]

فهي هنا محتشمة عفيفة و ملتزمة في مشيتها.

و يصور "علقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس" عفتها و طهارتها في قوله:

---

[1] – علي البطل : الصورة في الشعر العربي ص 85 .

[2] – الدكتور علي البطل : الصورة في الشعر العربي ص 87 .

[3] – توفيق الفيل : القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار الى ابن المعتز ،ذات السلاسل ، الكويت ص 53

منعمة ما يستطاع كلامهـــــا *** على بابها من أن تزار رقيــبُ

إذا غاب عنها البعل لم تفش سره *** وترخى إياب البعل حين يؤوب [1]

فهي امرأة طائعة لزوجها ساترة لسره محافظة على عفتها و طهارتها و نخلص في الأخير إلى أن شعراء ما قبل الإسلام كانوا في تصويرهم للمرأة يتشابهون و يتقاربون بمقتضى اقتدائهم بالصورة المثال التي ترتبط في أصلها بصورة دينية محضة ، فلم يكن تصويرهم للمرأة قائما أساسا على قضية وقت جمالي ، بل كان احتذاء بنماذج فنية سابقة كانت وثيقة الصلة بالدين القديم، حيث تحولت إلى قوالب و تقاليد فنية و قد تخالف أحيانا النماذج القديمة و لكنها في كثرتها تشي بتتبع لها من حيث ظهور الصورة المثال عند حديثهم عن المرأة.

[1]- أحمد محمد الحوفي : الغزل في العصر الجاهلي ،دار القلم ، بيروت لبنان.ص 81 .

II. المرأة في العصر الإسلامي و الأموي :

إذا كان هذا حول حل صورة المرأة في الشعر الجاهلي ، فإنها في عصر صدر الإسلام قد عرفت بعض التغيير ، إذ قل حضور الشعر الذي يعنى بتصوير المرأة ، وهذا يعود إلى تعاليم الدين الحنيف الذي نهى عن الإتيان بهذا الضرب باعتباره هتك للأعراض و انتهاك الحرمات و قذف المحصنات ، إذ يذكر الشاعر امرأة بعينها فيشهر بها، و يذيع من محاسنها و أوصافها الجسدية، ضف إلى ذلك أن العرب في هذه الفترة قد انصرفوا عن الشعر بما شغلهم بأمر الدين و ما أدهشهم من أسلوب القرآن و نظمه، و في هذا يقول " ابن سلام الجمحي" في كتابه "طبقات فحول الشعراء" << فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب و تشاغلوا بالجهاد و غزو فارس و الروم، و لهت عن الشعر و روايته>>[1] لكن ليس معنى هذا أن جميع الشعراء الذين اعتنقوا الإسلام قد صمتوا صمتا مطبقا أو انصرفوا انصرافا تاما عن الشعر

فالمتتبع لشعر هذه الفترة في المرأة تجد أن الشعراء في ذلك طائفتين :

1- الطائفة الأولى:

تمثل الشعراء الذين دخل الإسلام نفوسهم و بقيت الأهواء متأصلة، فعبروا عنها بصراحة حينا، و في رمز و تخف حينا آخر من أمثال : " سحيم بن عبد بني الحساس" الذي كان يعكس جانب المجانة و الإباحة، من ذلك قوله :

فما بيضت بات الظليم يحفهـــا *** و يفرشها و حفا من الرزق وافيـــا

فيرفع عنها ، و هي بيضاء مطلة *** و قد واجهت قرنا من الشمس ضاحيا [2]

كما نجد "سويد بن أبي كاهل" يقول:

---

[1] - ابن سلام الجمحي : طبقا فحول الشعراء ، الجزء الأول ، دار المدني ،جدة 1974. ص 25 .

[2] - علي البطل : الصورة في الشعر العربي ، ص 100 .

تمنح المرآة وجها واضحـــا *** ... مثل قرن الشمس في الصحو ارتفع
صافي اللون، وطرفا ساجيا ... *** أكحل العينين، ما فيه قمـــــــــح [1]

فهو كما نلاحظ يحفل بالتصوير الجسدي ، فوجهها مشرق أبيض كأنه الشمس و طرفها أكحل .

ولأن الإسلام حارب هذا الضرب في تصوير المرأة ، فقد لجأ بعض الشعراء إلى الكنايات و الرموز ، روى "الأصفهاني" : " تقدم عمر بن الخطاب إلى الشعراء ألا يشيب أحد بامرأة إلا جلده " فأنشد "حميد بن ثور الهلالي " يقول :

ألى اللهُ إلاّ أنّ سَرْحةَ مالكٍ على *** كُلِّ أفنانِ العِضَـــــاةِ تَروقُ
فقد ذهبتْ عَرْضاً، و ما فوق طُولها *** من السَّرْحِ إلاّ عَشّيةٌ وسَحُوقُ
فلا الظِّلّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَستَطِيعهُ *** ولا الفَيْءَ من بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ
فَهَلْ أنا إنْ عَلّلْتُ نَفْسِي بسَرْحـــةٍ *** مِن السَّرْحِ موجودٌ عليَّ الطريقُ [2]

فهو في شعره هذا يتحدث عن شجرة تروق على كل الأشجار الأخرى ، و تزين عليها سموا و بهاءا ، و هو لا يقصد الشجرة بذاتها و إنما يقصد محبوبته .

2- الطائفة الثانية:

و تتمثل هذه الطائفة الشعراء الذين آمنوا بالحياة الجديدة ، و مثلوها و التزموا حدودها ، ومن ثمة جاء حديثهم عن المرأة بتعبير فيه عفة و طهارة كما هو الحال عند حسان بن ثابت ، يقول في قصيدة له :

منع النوم بالعشاء الهموم *** و خيال إذ تغور النجوم
من حبيب أصاب قلبك منه *** سقم فهو داخل مكتوم. [3]

---

[1] - المرجع السابق ، ص 98 .

[2] - الأصفهاني : الأغاني ج4،ج12 ، دار الثقافة بيروت ص 195 .

[3] - حسان بن ثابت ، الديوان ،تحقيق الدكتور : سيدي حنفي حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، عام 1984 . ص 225 .

فقد جاء بتعبيره هنا في لفظ عف لم يتجاوز أن امتدح إشراقة وجهها

كما نجد كعب بن زهير يقول :

بـــانَتْ سُـــعادُ فَـــقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ *** مُـــتَـــيَّمٌ إثْـــرَها لـــم يُـــفَدْ مَـــكْبولُ

وَمَـــا سُـــعَادُ غَـــداةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلوا *** إِلاّ أَغَـــنُّ عضيضُ الطَّرْفِ مَكْحُـــولُ

تَجْلُو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ *** كـــأنَّـــهُ مُـــنْـــهَلٌ بـــالرَّاحِ مَـــعْلـــولُ[1]

فهو هنا يصفها بأنها رقيقة الصوت ، فاترة الطرف ، تضحك عن أسنان بيضاء ، و مع أن شعره هذا يجري مجرى الشعراء الجاهليين من حيث أوصاف المرأة فإننا لا نجد فيه أي فحش أو إباحية .

ومجمل القول أن حديث الشعراء عن المرأة في هذه الفترة – على قلته– قد تهذب لكنه بقى تابعا في معظمه إلى فترة ما قبل الإسلام، وفي تهذيبه هذب النفوس التي كان يقال فيها – صورة المرأة – وعلى الرغم من الحشمة التي فرضها الإسلام على الشعراء في تصويرهم للمرأة والتغزل بها ، فقد انكبوا على الاهتمام بها و أولوها العناية الفائقة في شعرهم بمجيء عصر بني أمية ، و إذا نظرنا الى صورة المرأة في شعر هذه الفترة نجد أن الشعراء قد اختلفوا في تصويرها ، فهناك من اهتم بتصوير العاطفة لا التعبير عن المرأة التي هي هدف العاطفة و مجالها ، حيث ركز على الجانب الروحي أكثر من الصورة الجسدية لذلك ، و هناك من ركز على الجانب الحسي للمرأة ، و بهذا فقد انقسموا إلى طائفتين :

أ- **الطائفة الأولى:**

و كان ظهور المرأة فيه قليلا ، و من بين هؤلاء الشعراء نذكر على سبيل المثال لا الحصر الشاعر العذري "جميل بن معمر" (جميل بثينة) على اعتبار ما اتصف به من حب عفيف

---

[1] – أحمد محمد الحوفي : الغزل في العصر الجاهلي ص 38 .

و مودة صادقة و قناعة ووفاء ، و مما يلاحظ على الشاعر العذري أنه يقف نفسه و فنه على إمرأة واحدة و يحرص على إظهار قوة عشقه على نحو ما قاله :

وإني لأرضى ، من بُثينةَ ، بالّـــذي *** لوَ أبصره الواشي، لقرتْ بلابلهْ

بِلا، وبألاّ أستطِيعَ، وبالمُـــــــنى *** وبالوعــدِ حتى يسأمَ الوعدَ آملهْ

وبالنظرةِ العجلى ، وبالحولِ ينقضي *** أواخِرُه، لا نلتقي وأوائِلُـــــــهْ [1]

يظهر جميل في هذه الأبيات اكتفائه و قناعته بأقل القليل من محبوبته و يصور حبه و رجائه الخائب الذي أصابه منها.

فهو المحب القنوع المقيم على العهد مهما عانى من ألم الحب و يظهر ذلك في قوله :

ويقلن:

إنك يا بثين بخيلـــــــــة *** نفسي فدائك من ضنين باخل [2]

و قوله أيضا :

أبثين إنك قد ملكت فاسجحي *** و خذي بحظك من كريم واصل [3]

نجده في هذا البيت يسأل محبوبته أن تعامله بالإحسان فحبه يشغله عن وصاله .

كما نجد إلى جانب "جميل بن معمر" شاعرا عذريا آخر هو" قيس بن ذريح " الذي وقف شعره و غزله على محبوبته لبنى التي يقول في غرامه لها :

لَقَدْ لاَقَيْتُ مِنْ كَلَفِي بِلُبْنَى *** بَلاَءً مَا أُسِيغُ بِهِ الشّرَابَا

إذا نادَى المُنَادِي باسْمِ لُبْنَى *** عَيِيتُ فما أُطِيقُ له جَوَابا[4]

---

[1] – جميل بن معمر ، الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر عام 1982 . ص 88 .

[2] – المرجع نفسه ص 54 .

[3] – جميل بن معمر ، الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر عام 1982 . ص 88 .

[4] – قيس بن ذريع : الديوان جمعه و حققه و شرحه : الدكتور عفيف نايف حاطوم ،دار صادر،لبنان.ص20 .

و قوله أيضا :

إني لأهوى النوم في غير حينه *** لعل لقاء في المنام يكـــون

تحدثني الأحلام أني أراكـــم *** فيا ليت أحلام المنام يقين [1]

يصور هنا قيس ولعه بمحبوبته و كيف أنه يذكرها مستيقظا و يطوف به خيالها نائما ومنه نخلص أن الشعر عند العذريين في تصويرهم للمرأة قد قام على صدق العاطفة و تحمل الآلام و التفرد بالوفاء ، فهذا هو البوح الصادق عن جميل و قد قل نظيره في الأدب العربي .

ب - ***الطائفة الثانية*** :

في مقابل الطائفة الأولى نجد إلى جانبها من الشعراء من اهتموا بالمرأة ، و ركزوا على الجانب الحسي منها، نذكر منهم على سبيل المثال "عمر بن أبي ربيعة " الذي وقف حياته على تصوير المرأة ، حيث كان كثير الإخلاص للجسد ومفاتنه وقد كان قديم "عمر" جديدا و إن انساق أحيانا إلى تيار التقليد حيث أتى ببعض العناصر التقليدية لصورة المرأة المثال حين تعرض لوصف الجسد ، ونجد في ذلك من مثل قوله :

غراء يغشى الناظرين بياضها *** حوراء ، في غلواء عيش معجب [2]

و قوله :

و بدين آدم ، شادن،خرق *** يرعى الرياض ببلدة قفر [3]

ففي هذه الأبيات نجد التركيز على وصف جسد المرأة فهي كالشمس، وصورتها غراء واضحة.

---

[1] - المرجع السابق ،ص 150.

[2] - عمر بن أبي ربيعة : الديوان ، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ،دار الكتب العامة ، بيروت لبنان 1983ص251

[3] - عمر بن أبي ربيعة : الديوان ، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ،دار الكتب العامة ، بيروت لبنان 1983ص37

و نشير إلى أن "عمر" قد تناول نفسية المرأة في شعره ، حيث صور أخلاقها و أساليبها في الحديث و حركاتها ، من ذلك الوصف الرائع لمحبوبته في داليته و الذي نلمس فيه أحد جوانب النفس عند النساء جانب الحسد ، في قوله:

حسد حملته من أجلها *** و قديما كان في الناس حسد [1]

و في قوله أيضا :

سيفانة أوتيت في الحسن صورتها *** عقلا و خلقا نبيلا كامل عجبا [2]

فقد صور هنا الجانب الأخلاقي منها إلى الجانب الجمالي لجسدها و هي ذات صورة حسنة نبيلة الخلق كاملة العقل .

ونجد إلى جانب "عمر بن أبي ربيعة " شاعرا اتبع نهجه وسار على دربه في تصويره للمرأة ، وقد اختلطت في شعره نماذج المصورة التقليدية و هو "الأحوص الأنصاري" كما نجد في قوله :

قامت تريك شتيت النبت ذا أشر *** كأنه من سواري صيـــف بارد

و مقلتي مطفل فرد أطاع لهـــا *** بقل ومرد ضفا مكاؤه غـــــرد

يزين لبتها در ،تكنفـــــــــــه *** نظامه فأجادوا السرد إذ سردوا [3]

---

[1] – المرجع السابق، ص 155.

[2] – المرجع نفسه ص 245 .

[3] – علي البطل : الصورة في الشعر العربي ، ص155.

III. المرأة في العصر العباسي :

في هذا العصر انحط شأن المرأة و أصبح الحديث عند أكثر الشعراء ضربا من اللهو و العبث و المجون و أطلقوا ألسنتهم في فجور و صوروا ما وقع في خلواتهم من فحش و جرأة ، و يتجلى هذا من خلال أشعار "مطيح بن إياس" ،الحسن بن الضحاك ، "بشار بن برد" و " أبوا نواس " ، و قد مثل هؤلاء الأربعة الجانب أو الصورة الجسدية للمرأة ، فقد روى صاحب " الأغاني" << أن "مطيع بن إياس" مر "بيحي بن زياد" و" حماد الراوية "وهما يتحدثان فقال لهما : فيم أنتما ؟ قال : في قذف المحصنات ، قال : أو في الأرض محصنة فتقذفانها >>[1] يقول "مطيع " عن "بربر" جاريته وكان لها جوار مغنيات من بينهن "جوهر" ، كانت ترسلهن إلى معسكر المهدي لنشر الفساد بين جنوده ،قال:

خافي الله يا بربـــر *** لقد أفسدت ذا العسكر

إذا ما أقبلت جوهر *** يفوح المسك و العنبـــر

و جوهر درة الغوا *** ص من يملكها يجـــــير [2]

وقال الحسن بن الضحاك في وصف جارتيه :

مؤزرة السربال مهضومة الحشا *** غلامية التقطيع شاطرة القـــد

محنأة الأطراف رؤد شبابهـــــا *** معترية الصد عين كاذبة الوعد [3]

و نجد " بشار بن برد " هذا الذي كان ينظر إلى المرأة على أنها شيء محسوس ،قال:

حوراء إن نظرت أليـــــــــــ *** ـك سقتك بالعينين خمـــرا

---

[1] - أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج12ص 168 .

[2] - المرجع نفسه ، ج12 ص 196 .

[3] - المرجع نفسه ،ج06 ص 467 .

و كأن رجع حديثهـــــــــا *** قطع الرياض كسين زهـــرا

و كأن تحت لسانهـــــــــا *** هاروت ينفث فيه سحرا

وتخال ما جمعت عليـــــ *** ـه ثيابها ذهبا و عطـرا [1]

فهو هنا يصف أنفاسها و ما تنشره من طيب كطيب الرياض و يصف حديثها وما تدفع فيه من سحر و يصور جسدها ذهبا و عطرا. فلم يعد لجمال المرأة عنده من معنى نفسي سامي بل رد جمالها كله إلى جسدها و أصبحت في رأيه أداة للغريزة الجنسية.

وهذا "أبوا نواس: يقول:

سقى الله ظبيا مبدي الغنج في الخطر *** يميس كغصن البان من رقة الخصر

بعينه سحر ظاهر في جنوبـــــــه *** وفي نشره طيب ، كرائحة العطـر. [2]

فالشاعر هنا يدعوا الله أن يسقي امرأة تبدي دلالا في مشيتها ، و تتمايل كما يتمايل غصن البان من رقة الخضر ، و في عينها سحر المجون ينتشر منه طيب كرائحة العطر، و يقول أيضا :

و مسمعة جاءت بأخرس ناطـــق *** بغير لسان ظل ينطق بالسحر [3]

و يقول في موضع آخر :

قد سقتني و الصبح قد فتق الليـــ *** ـل بكأسين ظبية حـوراء [4]

---

[1] - د/ حسن الحاج حسن : أعلام في الشعر العباسي ،ط1،عام 1993 ،ص 19 .

[2] - أبو نواس ، الديوان ، قدم له و شرحه ، الدكتور علي نجيب عطوي ، دار و مكتبة الهلال للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأخيرة ، سنة 2000 . ص 122 .

[3] - المرجع نفسه ص 123.

[4] - المرجع نفسه ص 18 .

فمن خلال هذين البيتين نجد أن المرأة عند "أبي نواس " إما مغنية بجود بغنائها على رواد الحانات ، و إما ساقية ، وهي في كل ذلك اداة للهو واللعب و العبث و الترفيه فالمرأة في شعره لم تعد تلك الحرة المحصنة بل هي ساقية في الحانات .و إذا كانت المرأة عند هؤلاء الشعراء السالفي الذكر ضربا من اللهو والعبث ، وإذا كان حديثهم عنها مركز فقط على الوصف الحسي فكل ذلك لم يمنع ظهور نماذج شعرية لشعراء لم يعنوا بجمال المرأة الجسدي ، بقدر ما حفلوا بعفتها و طهارتها ، و سموها الأخلاقي .

كان " العباس بن الأحنف" واحدا من هؤلاء الشعراء الذين حملوا هذا اللواء ،و يتجلى من خلال الأشعار التي نظمها في محبوبته "فوز" فقد تحدث كثيرا عن عفتها و سموها الأخلاقي ، يقول :

إذا ذكر النساء لحسبن الحال *** فهن لها الفدا في كل حال

مطهرة من الفحشاء تنمـــي *** إلى أهل المكارم و المعـــال [1]

وقال :

نبذت مكاتبي و رجع رسالتي *** وتنورت مصاحبها في المسجد [2]

و يرى أنه لا يوجد أي سوء في وصال اثنين إذا كان حبهما عفيفا طاهرا يبتعد عن كل فحش ،يقول :

وما يرى في وصال اثنين قد شغفا *** مالم يميلا الى الفحشاء من عال [3]

---

[1] – العباس ابن الأحنف : الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت . ص 246

[2] – المرجع نفسه ص 109 .

[3] – المرجع نفسه ص 133.

يتضح من كل هذا أن الرابط الذي يربط الأحنف بـــ"فوز" هو تلك العلاقة النبيلة التي تجلت في الحب الصافي الذي كان مبعث طهرها و نقاوة وسمو أخلاقها ، و بهذا يكون الأحنف قد مثل الجانب الروحي و الأخلاقي و النبيل للمرأة.

من خلال ما سبق يمكن القول : أن المرأة بغض النظر عن صورتها التي رسمت لها من طرف الشعراء قد شغلت اهتمامهم ، وان ذكر هذه العينة منهم من الشعراء و نظراتهم لها كان على سبيل المثال لا الحصر ، فهي مجرد نماذج فقط تبين لنا مكانة المرأة لدى الشعراء عبر هاته العصور ، فتجدها تقريبا في سائر الأغراض الشعرية ، و يقول الدكتور "حسين الحاج حسن": << كثيرا ما كانت المرأة عاملا هاما في سائر أغراض الشعر،فإذا هجا شعر بمناوئيه و غيرهم بالضعف لعدم ردهم الغارة عن النساء ، و إذا افتخر كانت المرأة إحدى جوانب فخره و إذا مدح توج قصائده بمقدمات غزلية رائعة تثير النفوس و تفتح قلوب الممدوحين [1] .

[1] – حسن الحاج حسن : أعلام في الشعر العباسي ص 195 .

IV. صورة المرأة في الرواية العربية الحديثة والمعاصرة وعلاقتها بالواقع :

كانت الثقافة الغربية هي الباب الواسع الذي دخل منه أكثر الروائيين العرب و تأثروا به في كتاباتهم للرواية سواءا من خلال رسم شخصياتها و تشكيل الحدث و صياغة الحبكة، و على الرغم من تأثير هذه الثقافة الوافدة على العرب إلا أنه كان جزئيا فقط أي أنه شمل الشكل فحسب ، أما المضمون فقد كان واقعا عربيا بحتا يعبر عن واقع الحياة العربية بملامحها واتجاهاتها، وهذه الرواية عبرت من خلال شخصياتها عن الواقع بايجابياتها و سلبياتها ،تفاؤلا و تشاؤما و استشراقا ، فالمستقبل مشرق وواقع بهتت فيه حقوق الإنسان ، و ذلك ناتج من كونه كان تحت وطأة الاستعمار و تأثير التقاليد القديمة عليهم مما جعل أزمة الفرد في الرواية من أكبر أزمات الواقع و هذا من خلال منظور الأديب

ولكون عنصري الوجود البشري : المرأة و الرجل هما محوري ارتكاز الرواية ، وفي هذا الأخير كانت صورة المرأة أكثر استقطابا لحركة الواقع و أغنى دلالة لتحديد موقف الأديب منه ، ولأن الفن لا يعتمد عن الواقع في معطياته الخارجية المباشرة ، وإنما يعتمد أو يتعداها إلى إدراك جديد فيتشخص الواقع في صورة جديدة ، ومن هذا المنطلق نجد أن الرواية تكشف عن رؤية الأديب للواقع و إدراك لعلاقاته وهي بما تحمل من سمات أقدر على الأنواع الأدبية على أن تجعلنا نرى الواقع المعايش للناس بالوصف المتأني ، " و هي كذلك بما تغذت عليه من سمات الفنون الأدبية التي طالت رحلتها في عمر البشرية مثل: الملحمة، السيرة ، المقامة و الحكاية الشعبية ، و بما يتاح للروائي من القدرة على تخيل حياة الناس وما يدور داخلهم من أفكار ومشاعر ، و الرواية بكل هذه الخصائص ترفض أن يكون لها شكل محدد لأن الحياة التي تصورها ليست لها شكل محدد [1]

[1] – طه وادي : صورة المرأة في الرواية العربية ، دار المعارف (مصر ،ط2، 1989 ، ص 55

ولبيان علاقة الرواية بالواقع من حيث هي كما يذهب "كروثر" "تقوم على إدراك فلسفي جديد للكون "[1].

مما يفترض طرح السؤال الآتي : كيف عبر الروائيون العرب عن واقعهم المعيشي من خلال تقديمهم لصورة المرأة في الرواية ؟ ، وكيف عكست الرواية العربية صورة الواقع من حيث أزماته ، صراعه ،مثله ، تياراته الفكرية و تطوراته الاجتماعية من خلال إبداع فنان يعبر عن الجماعة و يسجل علاقاته المتشابكة في مراحل سيرها الدائب .

و لقد كان كُتاب الرواية - في الغالب - رجالا ، رغم هذا حاولوا التعبير عن أزماتهم و مواقفهم من الواقع من خلال " صورة المرأة " ، ذلك آن هذه الأخيرة أكثر رهافة و حساسية و أشد وضوحا في تعبيرها عن الواقع وتعد قضية المرأة إحدى الأطر العامة لتحرير الوطن ، حيث أن تحرير الفرد و رقيه سبيل إلى تحرير المجتمع و تقدمه، وفي هذا الصدد نجد أن " قاسم أمين " كان على وعي حين أكد أن تحرير المرأة ليس مطلبا إنسانيا فحسب ، بل إنه ضرورة للتقدم القومي ، و يؤكد في أكثر من مجال " أن المصريين إذا أرادوا أن يكونوا أمة حية راقية متمدنة فلنا أن نقول لهم: توجد وسيلة تخرجكم من الحالة السيئة التي تشكون منها وتصعد بكم إلى أعلى مراتب التمدن كما تشتهون ألا وهي تحرير نسائكم من قيود الجهل ... "[2]

و ما يؤكد هذه الحقيقة صلاحية المرأة لأن تكون رمزا للواقع الذي نعيش فيه ، ذلك أن الفتاة في أسرة معينة أذل من الفتى على نوع الرعاية والتربية التي تتلقاها ، في هذه الأسرة كذلك نجد المرأة قادرة على أن تستقطب بحساسيتها مثل مجتمعها و تقاليده فإذا قلنا :" طالبة جامعية " أو " فلاحة " على سبيل المثال فمن السهولة بما كان أن نشجع في الذهن صفاتها - لا كفرد - وإنما كنموذج يتسم بسمات عامة لا تكاد تفردها خصوصيات تذكر ،ولعل هذا ما جعل"المازني"

---

[1] - المرجع السابق ص 56 .

[2] - طه وادي : صورة المرأة في الرواية العربية ،ص 57.

يرى أن المرأة " أكثر تمثيلا للنوعية في حين أن الرجل أكثر تمثيلا للفردية" ، بينما يراها العقاد " مظهر القوة التي يبديها كل شيء في الوجود و كل شيء في الإنسان " ،ونجد نجيب محفوظ يقول: " لا توجد ثمة حركة بين الرجال إلا وراءها المرأة " [1].

وإذا كان هذا رأي بعض الروائيين في المرأة فلا شك أنهم فيما كتبوا كانوا على وعي بهذه الحقيقة- حقيقة مواكبة حركة المرأة لظروف الواقع و أثرها في توجيه مساره- ومن هنا لم يعكس مضمون رواياتهم هذه الحقيقة فحسب، بل عكستها أيضا عناوين القصص و الروايات كـ "زينب" لمحمد حسين هيكل سنة (1914) ، و "حواء بلا آدم " لمحمود طاهر لاشين سنة (1934) و غيرها[2].

وعادة ما نقف أمام صورة نمطية للمرأة ، فهي المرأة المقهورة، السلبية، المتلقية ، الخاضعة للهيمنة الذكورية ، فهي بالمعتاد تابعة و متلقية ومقموعة ، القمع يتراوح بين العادات والتقاليد ، ظروف المجتمع و أنماطه في التعامل ، و لم تخرج المرأة عن هذه الصورة إلا في حالات محددة، و لعل الرواية العربية الحديثة لعبت دورا في إظهار المرأة العربية في صورة مغايرة ، فقد أصبحت المرأة شريكة للرجل في تحمل المسؤولية امرأة إنسانة و ليست سقط متاع ، لم تعد مجرد جسد ينظر إليه بشهوة و رغبة، بل أصبحت المناضلة ، و الأم و الشريكة ، و بشكل عام كانت صورة المرأة في الرواية العربية تعتمد على خلفية الكاتب ووعيه و ثقافته و البيئة التي خرج منها و تأثر بها دوما . و لعل تغير الثقافات و تأثير العمل السياسي و انتشار الوعي و الثقافة كلها لعبت دورها في هذا التغيير .

إن الكثير من كتاب الرواية المعاصرين ، و خاصة الذين ارتبطوا بالعمل السياسي و النضالي يقدمون صورة ايجابية عن المرأة ، تظهر بدورها الحقيقي ، مشاركة للرجل في

---

[1] - المرجع السابق ص 58.

[2] - المرجع السابق ص 58.

تحمل المسؤولية: والدة و مناضلة وواعية ولها دورها في مناحي الحياة المختلفة ، و يجدر هنا الحديث عن دور المرأة الفلسطينية في رواية "ماء السماء " للكاتب الفلسطيني "يحيى يخلف" ، ففي هذه الرواية التي تصور النضال الفلسطيني قبل سقوط فلسطين في عام 1948م ، وانتقال الشعب مهجرا ومشتتا إلى أنحاء الدنيا ، أورد صورا من دور المرأة في مرحلة نهاية الأربعينيات حيث أن الأم "العمة حفيظة" التي ترعى المجاهدين ، تتزنر بالرصاص وتقاتل معهم ، تؤمن لهم الذخيرة والطعام ، و تخرج بالأطفال لحمايتهم ، و تقوم بدور الرجال في خنادقهم و تنتظر عودتهم ، و أبرز دور الشابة "بدرية " في مخيمات اللجوء كيف تنتمي للعمل السياسي وتشارك في المظاهرات ،وتتسلل عبر الأزقة لتلتقي المناضلين الذين يختبئون من رجال الأمن ، توجه الرجل المناضل حين تشعر بانحرافه عن هدفه قائلة له : يوجد من الناس الفقراء والبسطاء الذين يحتاجون إليه للدفاع و عدم الابتعاد عنهم .

وهذا النموذج الايجابي للمرأة برز أيضا في روايات الروائي الكبير "حنامينة" إذ نجد نموذج "رئيفة" في رواية "الذئب الأسود " ، ونموذج "بيرانيك" في روايتيه" الفم الكرزي" ، و بالكاد لا تخلوا له رواية من أنموذج ايجابي يمثل المرأة .

وهذه الصورة الايجابية تكررت في العديد من الأعمال الروائية العربية المعاصرة ، كما يمكننا أن نرى هذا النموذج في شخصية"آسيا" في رواية "وليمة لأعشاب البحر" " للروائي السوري " حيدر حيدر "أين مثلت " آسيا بلخضر" صورة تختلف جذريا عن المنظور التقليدي الذي يرى فيها مجرد متعة جسدية بدليل أن الأستاذ يؤكد على أن المرأة ليست سيئا هامشيا و فائضا عن الحاجة ، لذلك سيبحث مع تلميذته موضوع الزواج بعد عودتها من العاصمة ، لأن عشقه لها استبد به حتى النخاع خاصة و أن معظم جوانب شخصيتها ذات بعد ايجابي ، تناقش ، تقترح ، تطرح و تقرر بكل جرأة وحرية ، لأنها تتعلم لتحرر و تستقل ، ولهذا كانت صورتها فاعلة ومنفعلة في علاقتها بالرجل /الأستاذ ، و مع الآخرين .

كما يضاف هنا أيضا الحديث عن المرأة في الرواية الجزائرية و الذي تأخر لتأخر ظهور الرواية في الجزائر وذلك بسب الاستعمار الفرنسي ، فإذا حاولنا هنا البحث عن معالم الأنوثة في الرواية الجزائرية فإننا نجدها قد اكتسحت مساحة جد مهمة ، حيث أبرز الرواية الجزائرية الملتزمة صورة المرأة المحاربة ، الجندية ،الفدائية ، الممرضة و المشاركة في حرب التحرير ، وفعاليتها كدليل بارز على التحول الاجتماعي الذي وقع في البلاد و غير المجتمع و غير بذلك صورة نظرة الرجل إليها و لم تعد المرأة ذلك المخلوق الذي لا يدرك ما يدور في العالم و ما يدور في بلده ، لقد فرض واقع الاستعمار و هيمنته و ظلمه مساهمة كل مواطن لمحاربة هذا المستعمر ، إذن فضرورة المجتمع و حاجة الرجل إلى مساعد فسح المجال أمام المرأة الجزائرية لإثبات ذاتها و الدفاع عن وجودها و الوصول إلى مزاحمة الرجل للاستشهاد في ساحات المعركة بالإضافة إلى أنها كانت خير ممرضة للجرحى بقلبها الحنون و الكبير ، إننا في بحثنا عن صورة للمرأة في الرواية الجزائرية تفتقد إلى مساهمة الكاتبة الجزائرية بما هي أنثى في حقل احتكره الكاتب الجزائري طويلا ، حقل مناجزة الرواية لأسئلة الحضارة و المثاقفة و الهوية و المستقبل .

ساهمت حرب التحرير الجزائرية في تغيير واقع المرأة الجزائرية و تطويره، فكان ميدان الحرب الموقع الذي تساوى فيه الجزائري بالجزائرية يشتركان في مواجهة الموت لتحقيق الهدف ، و قد ترجم هذا الحضور بالفعل إلى تحول اجتماعي الواقع الجزائري ، فرواية "نجمة" للكاتب " كاتب ياسين" على سبيل المثال لا الحصر تصور دور المرأة في الحياة الاجتماعية الذكورية خير تصوير .

و ها هي "نجمة" تمر من قسنطينة إلى عنابة ، و من عنابة إلى قسنطينة مجللة بالسواد ... لا يرى وجهها أحد و لا يتعرف عليها حتى من يعرفها و لم تعد سوى شعاعا خافتا من أشعة الخريف إنها مدينة مجروحة تستطوي على جراحها يغلفها الحداد و يرافقها و يحرسها

زنجي ، حارسها كما يبدو ، و كانت تتجول باستمرار من قسنطينة إلى عنابة و من عنابة إلى قسنطينة[1].

ففي هذا المقطع من الرواية تتبين حركة نجمة المستمرة بين قسنطينة و عنابة و هذا دليل على رمز الكفاح البطولي للمرأة الجزائرية و "نجمة" بطلة "كاتب ياسين" هي نقطة الانطلاق للبحث عن البلد الضائع ، و الهوية الضائعة .

و تعد "غادة أم القرى" من بواكير أعمال "رضا حوحو" القصصية ومن أهمها في الوقت نفسه ، إلا أنها لم تنشر في حينها ، و ذلك بسبب مضمونها ، الثروي المتقدم بالنسبة للمجتمع الحجازي آنذاك و المجتمع الجزائري على حد سواء .

[1] – أحمد منور، مقدمة رواية غادة أم القرى لرضا حوحو ، .ص 10.

الفصل الثاني

صورة المرأة في رواية غادة أم القرى

I. نبذة عن حياة الكاتب .

II. تلخيص الرواية .

III. صورة المرأة في رواية غادة أم القرى .

I. نبذة عن حياة الكاتب :

1- مولده و نشأته :

لقد ولد الأستاذ " أحمد رضا حوحو " يوم 16 ديسمبر 1911م بقرية سيدي عقبة ببسكرة، أدخل"حوحو: الكُتاب و هو في سن مبكرة شأنه شأن كل الجزائريين ، و في سنة 1916م ، و لما بلغ السادسة من عمره التحق بالمدرسة الابتدائية ، ثم أرسله والده إلى سكيكدة بعد النجاح في الابتدائية ليكمل دراسته في الأهلية عام 1928 م و لم يتمكن من متابعة تعليمه الثانوي نتيجة السياسة الفرنسية التي تمنع أبناء الجزائر من مواصلة تعليمهم ، ليعود حوحو إلى الجنوب و يشتغل بالتلغراف بمصلحة بريد سيدي عقبة و هذا ما زاده معرفته بأسرار الحياة ، فكان يلاحظ الفرق البارز بين بيئتين مختلفتين : بيئة صحراوية قروية و أخرى حضارية .

في سنة 1934م تزوج "حوحو" ، و بعدها بسنة هاجر بصحبة أفراد أسرته إلى الحجاز بحرا على ظهر الباخرة " سنابا" ، و ما إن استقر به المقام هناك أي بالمدينة المنورة حتى التحق بكلية الشريعة لإتمام دراسته .

2- شخصيته الأدبية (عوامل نبوغه) :

في سنة 1937 م نشرت له مجلة الرابطة العربية أول مقال له بعنوان " الطرقية في خدمة الاستعمار " * ، و في سنة 1938 م تخرج من كلية الشريعة بالمدينة المنورة متحصلا على أعلى المراتب و ذلك ما أهله إلى أن يعين أستاذا بالكلية نفسها .

في نفس السنة عينته مجلة "المنهل " ** سكرتيرا للتحرير و بعد عامين استقال من منصبه و انتقل إلى مكة المكرمة و هناك اشتغل موظفا بمصلحة البرق و الهاتف بالقسم الدولي ،

---

* الطرقية في خدمة الاستعمار " عنوان لمقال تم نشره عام 1937 ، و هو مقال له نشر في مجلة الرابطة العربية المصرية".

** - شارك في تحرير مجلة المنهل في مكة المكرمة بترجمتها من الأدب الفرنسي

و استمر في هذه الوظيفة إلى أن عاد إلى الجزائر سنة 1946 م بعد وفاة والديه ، وبعدها انظم إلى جمعية العلماء المسلمين ، و أصبح عضوا فعالا فيها ، و عين مديرا لمدرسة (التربية و التعليم) الذي كان الشيخ "ابن باديس" أسسها بنفسه و بقي فيها ما يقارب سنتين ، ثم انتدب لإدارة مدرسة "التهذيب" بمدينة "شاطودان" التي تبعد عن قسنطينة بحوالي 50كلم ، ولم يمكث فيها إلا فترة قصيرة ليعود مجددا إلى قسنطينة ليشغل منصب الكاتب العام لمعهد ابن باديس ، و في سنة 1946م يوم 25 سبتمبر نشر أو مقال في "البصائر" * بعد عودتها للصدور تحت عنوان "خواطر حائر" ، و في سنة 1948 م أنتخب عضوا في المجلس الإداري لجمعية علماء المسلمين الجزائريين ، و في سنة 1949م و في الأسبوع الثاني من شهر ماي شارك في مؤتمر باريس الدولي للسلام حيث مثل الجزائر خير تمثيل ، و في يوم 27 أكتوبر قام بإنشاء جمعية " المزهر القسنطيني" و من خلالها كان يعرض مسرحيات مثل : ملكة غرناطة ، بائعة الورد ، البخيل ... .

في 16 سبتمبر 1949م أسس مع جماعة من أصدقائه جريدة "الشعلة " ** و تولى رئاسة تحريرها و أصدر خمسين عددا منها ، و كانت قاسية في مخاطبة المنوائين لجمعية العلماء المسلمين ، و قد جاء في افتتاحية العدد الأول منها: " ستكون سهامًا في صدور أعدائك وقنبلة متفجرة في حشد المتكالبين عليك".

كما كانت له ترجمات للأدب الفرنسي دون أن نغفل جانبا مهما في نشاطه الفكري ، ويتمثل في القصص القصيرة , حيث يعتبر "حوحو" رائد القصة القصيرة الجزائرية.

---

* - إضافة إلى مقال " خواطر حائر " الذي نشر في جريدة البصائر ، هناك مقالات أخرى نشرت في الجريدة نفسها تحت عنوان " مالهم لا ينطقون ؟، مالهم يثرثرون ؟ ... "

** - " الشعلة " جريدة أسبوعية تصدر بقسنطينة " كتب فيها الأستاذ " حوحو " بأسلوب تهكمي ساخر قصد جلب الانتباه و التأثير على القارئ .

بعد اندلاع الثورة التحريرية ,وفي عام 1955م نشر مجموعته القصصية "نماذج بشرية" ضمن سلسلة كتاب البعث التونسية ، ظل " حوحو" يمارس عمله بمعهد ابن "بن باديس" ولكن ذلك لم يمنع شكوك رجال الشرطة الفرنسيين الذين اعتقلوه في أوائل عام 1956م وهددوه بالإعدام باعتباره مسؤولا عن حادث في المدينة.

3- وفاته:

في 29 مارس 1956م اغتيل محافظ الشرطة بقسنطينة و اعتقل"حوحو"من منزله على الساعة السادسة مساءا ذلك اليوم يعتقل بسجن"الكدية"و منه حول إلى"جبل الوحش"المشرف على مدينة قسنطينة،و تم إعدامه هناك.

وبعد استقلال الجزائر وجد جثمانه برفقة ثمان جثث أخرى مدفونة بشكل جماعي في حفرة واحدة"بوادي حميمين"ليعاد دفن رفاته بمقبرة الشهداء "بالخروب".

كان الأستاذ حوحو من رواد الكلمة الشجاعة التي كانت تعتال آنذاك لكونها دعوة إلى ثورة الشعب ويقظة الجماهير ،وقد عرف عنه الجرأة و الصراحة و الدعوة إلى التمسك بالشخصية الوطنية في الوقت الذي عمل فيه المستعمر على فرض اللغة الفرنسية على الساحة الجزائرية.

كما كان شهيد النضال،نضال الكلمة و الوطن،حيث حمل أمانة الثورة بنوعيها الاجتماعي والسياسي،وخط لأدب جزائري خاص.

4- *آثاره*:

اعتبر" حوحو"رائد القصة القصيرة الجزائرية و له مجموعة نذكر منها:يأفل نجم الأدب،ابن الوادي،غادة أم القرى [1] ،مع حمار الحكيم[2] ،صاحبة الوحي [3] ،نماذج بشرية [4] ،ابن البحيرة* ،إضافة إلى بعض المسرحيات التي تم ذكرها سلفا.

---

[1] – "غادة أم القرى "، الطبعة الثانية عام 1988 م ، إلا أنه كما ذكر في المقدمة أن هذه الطبعة لا تحمل في الواقع تاريخا ، و لكن يوجد في مستهلها إهداء للمؤلف بتاريخ 1947/01/01 م ، كما توجد في بعض أعداد جريدة البصائر بسنة 1947 م بعض التعاليق حول هذه القصة بمناسبة صدورها .

[2] – مع حمار الحكيم (مقالات قصصية ساخرة) عام 1953 م .

[3] – صاحبة الوحي عام 1954 م .

[4] – نماذج بشرية عام 1955 م .

* ابن البحيرة : حيث تم نشر هذه القصة متسلسلة في حلقات في مجلة " المنهل" المكية التي تعود نشر إنتاجه فيها .

II. تلخيص الرواية:

تدور أحداث هذه القصة حول قضية المرأة في المجتمع العربي بصفته عامة و المجتمع الحجازي بصفة خاصة، هذا الأخير الذي كان يتشكل من عامة الشعب الذي كان يحفز المرأة و ينالها بغطرسة و لا يطيق أن يراها تطالب بحقوقها و تدافع عن نفسها على غرار فئة من الشباب المثقف الذي يريد للمرآة الحجازية أن تتحرر من هذه القيود نسجت عليها ، و جعلتها محرومة من نعمة العلم ، و الحرية و الحب و ما عاشته "زكية " مثال مرأة حجازية في تلك الفترة ، هذه الفتاة التي عانت في حياتها من السطو من جهة و من جهة أخرى عذاب الحب فهذه الأخيرة كانت فتاة بريئة براءة الأطفال جميلة قوية الإيمان متمسكة بصلاتها تحب ابن خالتها "جميل" هذا الأخير الذي لا يبادلها نفس الشعور بل كان يحب أختها الكبرى "أسمى" .

فبقيت هذه الفتاة أسيرة الحب الصامت تتعذب في خفاء فكانت كلما رأت حبيبها "جميل" شعرت بحنين و حب عنيدين نحوه لكنها للأسف لا تستطيع أن تبوح بها أو بالأحرى لا تستطيع حتى رؤية وجهه و مقابلته لان تقاليد المجتمع الحجازي تأمر بذلك ، و ذات يوم زار ثلاث رجال المنزل " سليمان الخليل(أب زكية) بغرض خطبة إحدى ابنتيه لشاب اسمه "رؤوف" الذي ينتمي إلى عائلة ثرية فرفض أب زكية ، ذلك و رد عليهم ردا قطعيا بأنها مخطوبة إلى ابن خالتها "جميل" و في هذه اللحظات كانت زكية .جاثمة في مكانها تسرق السمع فطارت فرحا طمعا منها أن المعنية بالأمر –هي– لكن سرعان ما عرفت و فهمت العكس ، حيث نصب هؤلاء الرجال لجميل مخا فأطاحوا به و اتهموه بتهم ملفقة و باطلة تأخذه الشرطة الى السجن فعانى هذا الأخير من غربته و ألمه وظلم الإنسان لأخيه الإنسان بغير حق فدعا ربه أن يموت قبل وصول ذلك اليوم ، و في حين كانت – فاطمة أم جميل – تبكي ألما على فلذة كبدها داعية الله أن يفك قيود ولدها و يرجعه إليها سالما هذا بعد ما سدت كل الأبواب في وجهها و بقيت

هذه حيرة من أمرها متسائلة إلى من تلتجئ و أجابها صوت من الأعماق صوت الإيمان – الله – التجئ إلى الله[1]...

و بعدها توجهت إلى بيت الله الذي كان مزدحما بالحجيج فدخلت الكعبة بشق الأنفس و بقيت منتصبة و التصقت بجدار و بدأت الدعاء بلسان متلعثم ، ثم ما لبثت أن سمعت خبرا محتواه أن الملك سينزل اليوم لصلاة المغرب في الحرم فراحت (فاطمة) و اعترضت السيارة الملكية و صاحت على صوتها و البكاء يخنقها ولدي ... ولدي...يا مولاي ... أنقذوا ولدي مظلوم فتقدم الملك نحوها و ارتمت هذه على قدميه فصاح الملك قومي يا عجوز فسألها عن سبب بكائها فقصت عليه قصة ولدها المظلوم فطمأنها قائلا :" عودي إلى دارك ... سننظر في قضية ولدك " .

ومن ثمة أمر الملك بتوقيف تنفيذ الحكم الصادر عن" جميل " لينظر بنفسه في قضية "جميل" لكن هذا كله جاء متأخرا ، فجميل ذلك الشاب الذي كان يعمل و يكد في عمله من أجل شيئا واحد و هو جمع المال لدفع مهر حبيبته "أسمى" صار الآن جثة هامدة لا يتحرك منها ساكن في حين كانت – زكية – تلفظ أنفاسها الأخيرة و هي تنادي[2] و تقول : " جميل ها أنا ذا ؟ فتحسر والدها أنفاسها و إذا بها انقطعت فثار عويل و صراخ الحاضرين من الأهل و الأقارب و في هذه الأثناء وقف أمام نزل الشيخ "سليمان" رسولا القصر الملكي يحملان نبأ وفاة "جميل" و إذا بهما يسمعان العويل و النصيب فلتفت برهة ثم قال أحدهما للآخر :" هيا بنا فقد وصلهم الخبر.[3]

---

[1] – أحمد رضا حوحو ،غادة أم القرى ، ص 52 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 54

[3] – المصدر نفسه ص 60

III. - صورة المرأة في رواية غادة أم القرى :

1- صورة المرأة العاشقة(زكية):

حين شكا القاصون من هيمنة التقاليد التي تحجب الرجل عن رؤية مخطوبته لم يستطيعوا إذاعة تفاصيل شكواهم، بل كانوا يخاطبون مجتمعهم على وجل، مثلما كان الشأن في قضية تعليم المرأة و كتابتها و عملها و أنواع المعارف التي يسمح لها بتلقيها و درسها، فكان عرض قضية الرؤية استحياء كما فعل "أحمد رضا حوحو" في هذه الرواية رواية "غادة أم القرى" *

في وقت مبكر من تاريخ شبه الجزيرة العربية، حيث كتبها في مطلع الستينيات الهجرية من القرن الماضي، و لكنه كان يعني بأحداثها الأربعينيات من القرن الماضي-كما يوحي بذلك من السرد- ثم تطور الأمر و رأى القاصون أن المواجهة ستطول مع التقاليد فاحتد الخطاب القصصي،و تماس القاصون مع التخوم الممكنة للحوار مع السائد المقلد، و انبروا في دأب لإظهار فداحة الإتباع، و إبانة شطط الدفع بالمرأة و الرجل في شراكة غير واضحة ، ولا مفهومة، ولا أعلم لطرفيها بما تنطوي عليه من خفايا و أسرار.

إن "زكيـــة" بطلة الروايـــــــة لا تستطيع حتى رفع صوتها لإجابة الطارق ،فكيف لها أن تراه أو يراها؟،لقد تسللت نظراتها إليه من خلال خصاص النافذة الخشبية ،وحين طرق "جميل"الباب لم يسمع كلاما يفيد بالنفي أو الإجابة،بل سمع تصفيق يدين ناعمتين؛ فلا هو بمستطيع الحديث ولا هي أيضا،و"شعرت الفتاة بوطأة الحجاب لأول مرة و أحست بعبء التقاليد ولا سيما على الفتيات" . [1]

---

* - دار خلاف طويل حول هذه الرواية ،هل تعد جزائرية أم سعودية ، و يذهب عدد من النقاد الجزائريين إلى أنها من بواكير الأعمال القصصية الجزائرية كما ذكر ذلك الدكتور "عبد الله الركيبي" في كتابه القصة القصية في الأدب الجزائري المعاصر / القاهرة ص 198 .

1 - أحمد رضا حوحو "غادة أم القرى ،ص27.

وهذا يكشف عن طبيعة الحياة القاسية التي عاشتها المرأة في تلك الفترة و المقولات الاجتماعية التي مازالت تحكم حياة المرأة إلى اليوم.ثم بعدها تتذكر"زكية"سنوات الطفولة اليانعة التي كانت تجمعها "بجميل"وغيره من الفتيات و الفتيان في اللعب في فناء الدار،ثم حين نهرها أبوها بعد ذلك بسنوات لئلا تظهر أمام "جميل"ثم تم حجزها بين جدران الدار تلقنها أمها علوم الخياطة و التطريز،"أما القراءة و الكتابة فلا تزالان سرا غامضا بالنسبة إليها"[1] ، ففي قصص ألف ليلة وليلة وفي الليلة سبع مئة و سبعة و أربعين يقول الحكيم:"لا بد للبنت من الزواج أو القبر"[2]،حيث قيدت هذه المقولة المرأة بين جدران القبر و المنزل،وعزلتها عن الحياة العامة ،لهذا لن نستغرب فساد رأيها في شؤون تلك الحياة ،مما يعزز صورتها الدونية ! .

و"جميل" ليس غريبا على "زكية"فهو ابن خالتها و تنوي أسرتها قبوله زوجا ل "أسمى"و هي الأخت الكبرى ل"زكية"،وحين تمت الخطوبة بعد رفض ابن الشيخ "أسعد"لم تتم الرؤية بين الخطيبين،و ربما كان لتطور أحداث الرواية أثر في عدم حدوث ذلك على أن كانت الرواية"حوحو" جزائري الأصل ،ولا تخلو ثقافته من آثار فرنسية * أوقدت فيه الثورة على التقاليد ،فذكر قسوة المجتمع على الفتاة أو المرأة ، فرغم الدور الذي تلعبه هذه الأخيرة داخل الأسرة إلا أنها لم تتح لها فرصة لعب دورها كعنصر فعال ،إذ أن الصورة التي رسموها لها صورة سوداء قاتمة ، فهي ذلك الكائن المسلوبة إرادته و حقوقه ،حيث يذهب أحد الغربيين إلى القول بأن المرأة العربية عموما و المرأة الجزائرية على وجه الخصوص :"بأن الجزائر لها كل شيء عدا المرأة ، المرأة لا توجد بالجزائر ،المرأة الروح و المرأة الكائن الجميل المرهف الأحاسيس"، و يقول "بنجامين غاستينو" (Benjamin Gatineau) :

---

[1] أحمد رضا حوحو " غادة أم القرى ص 31 .

[2] ألف ليلة و ليلة الجزء الرابع الطبعة كاملة و أصلية بيروت ،دون تاريخ .

* يقول أحمد بوشناق كاتب مقدمة الرواية "غادة أم القرى" و الأستاذ "حوحو" نشأته الأولى في بيئة تباين بيئتنا هذه ، ثم بثقافته الفرنسية الحرة ، و بما نعرفه فيه من موهبة النقد الجريء و دقة الملاحظة و فهمه الصحيح لحياتنا باندماجه فيها خير ما يحمل على عاتقه هذا الواجب المقدس يرشدنا بقصصه الممتعة إلى مواطن الضعف و نواحي الألم ص 18.

"الجزائر لها الصحراء ، الواحات ، البحر و الجبال ، لها سماء رائعة على الدوام، أرض خصبة و غابات من البلوط الآهلة بالأسود و الفهود، منابع باردة و مياه معدنية حارة، خيول تحسدها عليها كل أوربا، محاجر من الرخام و مناجم من الذّهب و الفضة و الحديد والرّصاص، الجزائر... لها كل هذه الفضاءات، و هذه الثّروات ، كل هذا الجمال،و لكن ليس لها المرأة "[1] ، و يؤكد "فرومونتان" على هذه الوضعية المزرية التي كانت تعيشها المرأة العربية عموما، حيث يكتب لأحد أصدقائه:" ما سأقوله لك عن الظروف القاسية للمرأة العربية ليس جديدا، فأنت تعلم الوضعية التي يمنحها لها الزواج، فهي في الوقت نفسه الأم، والحاضنة، العاملة، الحرفية، سائسة الخيل، الخادمة، و تقريبا بهيمة المنزل"[2] .

و يرى البعض أن الخصائص المميزة للمجتمع العربي منزلة المرأة فهي سيدة البيت، لكنها محجوبة عن الشوارع و محرومة من التعلم و الشغل[3] .

و لكن بالرغم من الدور الإيجابي الذي تمارسه المرأة داخل المنظومة الاجتماعية فإن حقوقها مهضومة، و إن حاولت المطالبة بها ، أو التوجه إلى العدالة لتأخذ لها هذه الحقوق فلا تجد جدوى من ذلك.كما ذكر قسوة المجتمع على الفتاة حين تحب، " و يا ويل الشقية منهن التي يطأ قلبها الحب فإنها تعيش معذبة تعيسة ... فالحب جريمة لا تغفر، و فضيحة شنيعة " [4] ،

وأن الفتاة لا يحسن بها أن تسرح برغبتها من الزواج[5] ، و أن لا ترفض من اختاره لها أبويها[6]، و هذا ما حدث ل"زينب" في رواية "زينب لمحمد حسين هيكل" [1] حين تقدم لخطبتها

---

[1] – "غاستينو بنجامين " النساء والعجائز في الجزائر" باريس 1861 م ص 5 .

[2] – فرومونتان " الصيف في الصحراء " باريس مكتبة بلون ،ص47 .

[3] – أندري برنتان ، أندري نوشي ، إيف لاكوست : "الجزائر بين الماضي و الحاضر ، ترجمة : رابح و منصف عاشوري ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، سنة 1984م ص 223 .

[4] – أحمد رضا حوحو " غادة أم القرى "ص 27 ،ص 32 ، حيث ذكر أن الحب جريمة أيضا و لو كان طاهرا نقيا .

[5] – أحمد رضا حوحو " غادة أم القرى " ص 32 .

[6] – المصدر نفسه، ص 30 .

شاب يدعى "حسن" فإذا بها رافضة له و لكنها كانت مرغمة على الزواج منه لأن أبواها أرادا ذلك، أما رفضها فكان نتيجة لتعلق قلبها بشاب آخر و هو "إبراهيم" الذي أحبته حبا شديدا.

إن البطلة هنا كما يصورها الكاتب مغلولة الكلمة، خفيضة الصوت، لا رأي لها فيما يدور حول شأنها ،تسير في ركاب أبويها دون ممانعة و دون إبداء رأيها في قضية الزواج ، و حين أحست أنها مهددة بفقدان حبيبها "جميل " عبرت عن حزنها وغضبها بفقدان توازنها النفسي حتى وصلت مرحلة من الفقد الكامل للعقل؛ و هي صفة نفسية تعبيرية عن الداخل تصور فقدان المأزوم المقدرة على التعبير عن ذاته بالأدوات التي وهبها اللّه للإنسان (العقل و القلب واللّسان)، وقد لا يمتلك الإنسان القدرة على الإفادة منها أو من بعضها ، أو لا يمتلك منها ما يمكنه من التّفكير السّوي و الشّعور النّاضج، و الإفصاح عن ذلك بأسلوب جلي واضح، و مؤثر فيرتد هذا النقص شعورا مكبوتا ضاغطا، حتى إذا لم تجد وسيلة للتعبير عن حزنها أفضى بها الأمر إلى أن تفقد توازنها النفسي، فتنفجر مشتظية في صورة تعبيرية عكسية مؤذية ؛ إما بشعور واهم بالألم أو بفقدان القدرة على الوعي بالأشياء. تلك التي نسميها بالهستيريا ، و هي المرحلة التي وصلت إليها "زكية" كمدا وحزنا و احتجاجا حين سجن " جميل" و مات.

و لا تخلو الرواية من اعتساف للأحداث، و من مبالغة تراجيدية في النهايات ، ومن تحكم الصدفة في رسم مصاير الشخصيات و من تداخل غير مقبول بين الخيال الرومانسي المفرط و الواقعية المباشرة التي تهبط بالعمل القصصي من مستوى الحدث التاريخي المجرد .

إن البطلة هنا سلبية غير مؤثرة في صنع الحدث ، تقابلها صورة مناقضة لها تماما ، تلك هي الصورة التي أوحت بها لنا "فكرة "بطلة رواية "السباعي" الناقدة الثائرة على التقاليد و المصرة على التغير ، و الطامحة إلى خلاص مجتمعها من عبودية التقاليد، و العادات إلى رحابة العقل و فسحة التأمل ، فهاهي لا تخفي نقمتها على عادة عدم الرؤية عند الزواج حين

---

[1] – محمد حسين هيكل "زينب" (نبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية ،1957 – الجزائر–) .

علت عن رجل من منازل الهدى ظاهر المكانة ، تقدم لخطبة إحدى بنات الوادي ، فحاز الرهن و القبول، و عن الرجل في النهاية رأي شاذ في عاداتهم، هو أن يرتحل في جماعة من بني قومه، و ينزل بهم كأضياف لمشاهدة خطيبته قبل البناء بها، فاعتبروا رأيه شططا و اقتحاما لا مبررا له، فما كانت ابنته جارية تعرض في سوق النخاسة و البيع!!و ليس من الصنعة بحيث يرى الخطيب ابنتهم قبل بناءها![1] فتنحوا بالأئمة على الاستسلام لمنطق العادة- إن كان لها منطق و لم تشرعه التقاليد-إن كان لها تشريعات – فالدين يبيح والعقل السليم ينقاد له، و العرف يقول:" لا صاخبة مدونة، فيتحول بقوله"لا" و ننسى ديننا ونلغي عقولنا؟! [2]

فبعد أن نافحت "فكرة" عند " السباعي" عن شخصية المرأة النموذج، متكلفة بالتبصير أو الشروح و المداخلات مع الواقع الرافض يرسم "حوحو" صورة مناقضة تماما للبطلة "فكرة" القوية القادرة على المحاجة و الملاسنة لأنها مستنيرة متعلمة، بينما يقدم "حوحو" بطلة " زكية" في حالة من الضعف و الاستسلام لمقولات واقعها الكي-حسب زعمه-غير قادرة على الاحتجاج عليه برفضه جملة و تفصيلا سبيل واحد هو الهروب منه بالموت، فكان موتها و موت حبيبها في وقت واحد في ختام الرواية إعلان عن العجز بالمواجهة و انتصار الشر على الخير ، رغبة من القاص في دفع القارئ إلى المشاركة لبطليه.

و أن الشر حين يستطير و يبلغ حده الأقصى أقرب إلى انقشاع غمته، ما جعله متفق مع قول الشاعر

و كربي نازلة يضيق بها الفتى *** درّ و عند اللّه منها المخـــــــرج.

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها *** فرجت .... و كنت أظنها لا تفرج

---

[1] – السباعي رواية "فكرة" عام1367 هـ ص 38 .

[2] – السباعي رواية "فكرة" عام1367 هـ ص 38.

أو إن زيادة الإيلام أدى إلى البحث عن حلول الإشكال الكبير كذلك الذي أودى "بزكية" مخبولة ثم ميتة، و لا شك في سياق الرواية ما يشير ببعض منهج " جورجي زيدان" و يتبين ذلك من مسعى الرواية، ثم من إقامة بنائها الموضوع على الغرام، ثم في النهاية البائسة ، وفي تأزم الموقف حتى يضيق على البطلة فلا يكون لها منجاة من سوء الأقدار في كل الأحوال.

و يبلغ بالقاص الإسراف في النقد فيخرج به من شفافية الخيال إلى محادثة البيئة التي تحجب عن بطلته المعرفة، و تحجب عنها حقها في المشاركة في اتخاذ قرار مصيري لاختيار زوجها << أأقف على خطوة منت منك و لا أستطيع أن أريك وجهي ولا أسمعك صوتي و أنا المتلهفة الولهى>>[1] ...، و هذا ما حدث لزينب كما ذكرنا ذلك سلفا.

كما أنه لا يرى بأسا في مهاجمة الحجاب، و في القسوة على المحافظة دون تفريق بين ما يحسن بالمرأة التحلي به، أو التخلي عنه.

وهذا ما يدل على خوفه و اضطرابه و قلقه من محيطه فهو بين مستسلم لأفكاره المدينة الحديثة و بين وجل ممن حوله يلطمهم بعبارات فضفاضة تطفئ شكوكهم في أفكاره، و هذا ما ورد في مقدمة هذه الرواية:"المرأة الحجازية التي صور لنا المؤلف حياتها البائسة تصويرا دقيقا، و كشف لنا عما تعانيه من ضروب الحرمان هي اليوم بين مد و جزر لفكرتين يسودان بلادنا المقدسة...فكرة تتمثل في هذا السواد الأعظم من الشعب الحجازي الذي يسير على هدى من عاداته و يحرص على تقاليده، يحتقر المرأة و ينالها بغطرسته و جهله.و لا يطيق أن يراها تطالب بحقوقها و تدافع عن نفسها... و فكرة يعتنقها هذا النزر البسيط من الشباب الذي أخذ بحظ قليل من العلم و العرفان، فهو يريدها أن تنسج على سؤال المرأة المصرية و تسير في الطريق التي سارت فيها شقيقتها المصرية من قبل" [2] .

---

[1] – أحمد رضا حوحو "غادة أم القرى" ص 24 .

[2] – أحمد منور مقدمة رواية،غادة أم القرى لرضا حوحو ،ص 19 .

و بهذا بقي موقف المرأة الحجازية يتصارع بين هاتين الفكرتين : أتسكت عن حقوقها المهضومة و تستمر على حياة لا تفرق عن حياة أمها وجدتها من قبل ؟ ، أم تستمع لنداء هذا الفئة من الشباب المتعلم و تنهض للمطالبة بما لها من حقوق ، حيث أنه يلوح لها بحياة لا تسير مع عادات وتقاليد قومها و نظم أسرها؟.

2- *صورة المرأة الأم (أم جميل):*

إن صورة الأم في "غادة أم القرى"تتبدى بوضوح في شخصية فاطمة(أم جميل)الكائنة في الناحية السفلى من مكة،و هي أرملة لرجل مات في الدفاع عن الملك،مثلت هذه المرأة صورة الأم التي امتدت لتكون كل الأمهات لترسم صورة أم حقيقية احترق قلبها لأجل فلذة كبدها الوحيد،فقد حرص الروائي هنا على أن يقدم صورة الأم في إيطار إنساني و فني بديع و مميز،إذ قدمها إنسانة مكافحة،متفائلة بالمستقبل،فلم تستسلم للواقع المزري الذي فرضه عليها الحال،فقد عملت وكافحت بكل ما أوتيت من قدرة على مغالبة الشدائد و الصمود أمام جبروت الظالمين لابنها،وهي صورة تماثل صورة "أم محمود"في "رواية العشاق لأبي شاور" حين صمدت في وجه الشدائد أمام جبروت الاحتلال [1] ،و ذلك لكي تؤمن لابنها الحياة الحرة الكريمة،فأم جميل الطيبة الوديعة التي مات زوجها من أجل الدفاع عن الملك أو عن الوطن،وتركها وولد صغير بلا مال و لا جاه لولا حنان زوج أختها عليه و تربيته في داره مثلما اهتم بابنتيه،إلا أنها وقفت على قدمين ثابتين و تمكنت من تربيته تربية صالحة بشرف و كرامة وصدق.

---

[1] - المرأة في الرواية الفلسطينية 1965 م- 1985 م الدكتور حسان رشاد الشامي ، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، سورية، 1988 .

لقد عبر هنا الروائي عن حزن أم جميل بما أصابها بقوله: "كان هناك مخلوق آخر لا يقل حزنا و ألما عن زكية و ما ذلك المخلوق إلا والدة جميل التي كاد أن يقتلها النبأ ويقضي عليها".[1]

أم جميل هنا هي صورة الإرادة و التحمل،هي الصورة الذي غدا يجري من مكان إلى آخر من أجل فلذة كبدها الوحيد،وأصبحت تستنجد بذوي الجاه و القوة و السلطة أملا منهم أن يجدوا حلا و مخرجا لابنها و يستطيعوا خلاصه من جدران السجن الذي وضع فيه ظلما،لكن رغم كل هذا لم تجد من يلتفت إليها أو يسمع صوتها وأنين قلبها الحنون و الجريح،أو من يرثي أمومتها المعذبة على حد تعبير الراوي .[2]

ولأن قلب الأم يبقى دائما هو منبع الحب و الحنان و العطف و الثقة والأمان فقد أحست أم جميل بألم أختها(أم زكية) على ابنتها ،وكذا لأن السبب في مرض زكية هو جميل،حيث انتقلت إلى دار أختها منذ اعتقال جميل لتتولى السهر على زكية بنفسها،تلك الفتاة الذي نال منها عراك نشب بين حبها المكبوت و عقلها المرهف بأعباء التقاليد.[3]

و رغم أن فاطمة لم تجد من الذين استنجدت بهم أي رد إلا أنها لم تفقد الأمل،حيث مثلت هنا صورتها بكل أمانة و دقة صورة واقعية للأم الصابرة،المضحية،المتفائلة،المحبة للحياة المفعمة بالحميمية المطلقة اتجاه ابنها الوحيد،و المخلصة لزوجها المستشهد،المربية الصالحة لابنها القادرة على القيام بشؤون أسرتها على أكمل وجه وتحت أعتى الظروف و أشدها قسوة ومرارة،و هي صورة مطابقة لصورة الأم في رواية "البكاء على صدر الحبيب لأبي شاور" ، و هي صورة موحية للأم المكافحة الصابرة التي ضحت بشبابها و سعادتها من أجل ولدها

---

[1] – أحمد رضا حوحو "غادة أم القرى" ، ص 45 .

[2] – المصدر السابق، ص 45 .

[3] – المصدر نفسه ، ص48 .

الوحيد- زياد- بعد أن فقدت زوجها جراء استشهاده في الدفاع عن القرية،وترك لها طفلا لم يتجاوز السادسة من عمره،فهاجرت من أريحا مع طفلها،إذ بدأت رحلة الشقاء و الكدح في سبيل تربية الولد،ورعايته و تربيته،وتعليمه إلا أن شب و أصبح كاتبا مسرحيا وشاعرا،بعد أن أنهى دراسته للأدب في جامعة القاهرة. [1]

وأخذت هنا أم جميل تنتظر على أحر من جمر قدوم الملك بن سعود إلى المدينة الذي كان معروفا بعدله وانصاف حكمه في مواقف كثيرة من هذا القبيل،مثل قضية جميل المظلوم ،أخذت فاطمة تترقب بفارغ الصبر أنباء رحلته من الرياض إلى أم القرى بآذان مرهفة،وذلك لينظر و يحكم في قضية ابنها،فهي الأم المثالية فعلا التي جعلها الأمر تجسد رابطة الأسرة بعد اعتقال ابنها و ذلك لشعورها الشفاف بفقدان الأمن والثقة،لأن ابنها كان بالنسبة لها كل حياتها بعد فقدانها لزوجها،وهذه المعطيات أججت لديها الشعور بالمسؤولية تجاه فلذة كبدها ،شأنها في ذلك شأن ما حدث في رواية "الأم لمكسيم غوركي " ، "فبول" و هو بطل هذه الرواية،رغم أن أمه كانت أمية و لم تفهم ما يفعله ابنها بالضبط في هذه الاجتماعات التي يعقدها مع مجموعة من الشبان...لكن إحساسها وقلبها كأم أخبرها بأن ابنها يكرس نفسه لقضية كبيرة قد يضحي بحياته لأجلها فأحزنها ذلك كثيرا و أشعرها بالخوف الدائم عليه،لكن حياتها السابقة مع زوجها و معاناتها علمتها أن تصمت و تستسلم لحتمية الواقع،فهي تعلم أن "الدموع لا تنضب في عيون الأمهات"[2]

و ظلت فاطمة غارقة في حزنها تفكر في ابنها البريء المظلوم وفي اليوم المشؤوم الذي يخرج فيه ليجلد أمام عامة الناس و غريمه رؤوف يشفي غليل قلبه منه .

---

[1] – أبو شاور رشاد ، البكاء على صدر الحبيب ، دار الحقائق بيروت ، الطبعة الثانية عام 1983 م ، ص 11 – 12 -22-

[2] – منتديان جيهان (الأدب و الشعر) الكتب الالكترونية ، رواية الأم لماكسيم غوركي.ص66.

وذات يوم لما كانت أم جميل في لجج التفكير العميق سمعت سيارة الإطفاء التي تقوم برش الشارع العام يوم قدوم الملك ،وهنا علمت الأم المنكوبة أن الملك قادم ،وتفاءلت خيرا وخرجت مسرعة إلى كتبة العرائض لتكتب استدعاءها للملك و تعلمه بقضية ابنها،و توجهت بجرأة كبيرة وبقلب منحرق منكسر على ابنها نحو القصر الملكي لتوصل رسالتها،و هنا تبين لها أن "مقابلة الملك ليس بالأمر السهل، وعاودها الوسواس،و كاد أن يستولي عليها اليأس" [1]،وحين تذكرت ابنها الوحيد البريء مرميا في السجن،فأثار ذلك عطفها و حنانها و بعث في قلبها قوة لا تقهر ولا تقاوم و ثقة في نفسها،فقررت عدم الرجوع و عدم الاستسلام لهذا الوسواس،وأن تقوم بالمستحيل من أجل وحيدها.

و بإرادتها القوية استطاعت أن تشق طريقها وسط الازدحام الشديد وسلمت رسالتها إلى الشرطي و أوصته بها خيرا،و بعد يومين رجعت لتأخذ رد الملك،علمت أن ما وصل إلى الملك رسالة لطلب مساعدة مالية،وذلك عندما أمر الملك لها بخمسين ريال، فتحطم قلب هاته الأم التي كان أملها الوحيد مرتبط بالملك للإفراج عن ابنها،وعادت أم جميل إلى البيت كسيرة البال محطمة الجسم،و انطرحت العجوز على فراشها و أخذت دموعها تنصبب على وجهها، ولم يبق لجلد ابنها سوى يومين وماذا بقي لها أن تفعل في هذا الوقت الضيق فقد تغلقت الأبواب و سدت جميعها في وجهها :"إلى من تلتجئ ...تساءلت المرأة وأجابها صوت من الأعماق صوت الإيمان.

-الله ...التجئ إلى الله"... .[2]

---

[1] - أحمد رضا حوحو "غادة أم القرى" ، ص 50.

[2] - أحمد رضا حوحو "غادة أم القرى" ، ص 52.

ما بقي لها الآن لا أن تلتجأ إلى الله تصلي و تدعو المولى أن يفرج عليها وعلى ابنها المظلوم،فقصدت بيت الله،وكان مزدحما بالحجيج،و بصعوبة كبيرة وصلت إلى الكعبة و " وقفت منتصبة في الملتزم ما بين الحجر الأسود و الباب و ألصقت صدرها الهزيل بالبيت...

– إنه لم يبق لي أحد سواك...يالله...في هذه الدنيا.

–إنك أعلم العالمين بمحنتي يا إلهي..."[1] ، و لم تستطع أن تتفوه بأي كلام و إنما عبرت عنها بدموعها الحزينة في سكون كبير.

إن احتراق قلب أم جميل على ابنها منحها قوة كبيرة خارقة لا تقاوم و أدى بها الحال إلى أن قفزت وسط الشارع معترضة سيارة الملك، للتحدث إليه، لكن دموعها الغزيرة خنقتها و بدى وجهها شاحبا مصفرا و صاحت بأعلى صوتها:" ولدي... ولدي...يا مولاي ... انقذوا ولدي المظلوم"، [2] هذا ما استطاعت أن تعبر به.

إن جرأة العجوز فاطمة هنا جعل من الملك إلا أن يتقدم نحوها و يفهم منها ماذا تريد، فالثروة الوحيدة التي تركها لها زوجها جعل منها ترتمي تحت قدمي الملك، و هنا عبرت عن الأم البسيطة التي تعمل و تكد في سبيل إنقاذ ابنها لتمتد جبلا شامخا من أجل كرامته، فأخبرته بقصة ابنها، و هنا جعلت كل الناس واقفين في تعجب شديد متساءلين عن هاته المرأة الجريئة التي أوقفت الركب الملكي بأكمله لتتحدث إلى الملك.

إن أم جميل هنا مثلت فعلا صورة المرأة البسيطة، المثالية ، الجريئة، القادرة على تحمل المسؤولية اتجاه أبناءها ، و العاملة المجدة من أجل كرامة الإنسان ، لأنها صمدت في وجه الشدائد و أعتى الظروف القاسية لأجل ضمان الحرية و العيش بكل شرف و إفتخار.

---

[1] – أحمد رضا حوحو "غادة أم القرى" ، ص52 .

[2] – المصدر نفسه ص 53 .

إضافة إلى صورة أم جميل في رواية" غادة أم القرى" ، فقد ظهرت أيضا صورة أم زكية ، إلا أنها لم تتجلى بوضوح، و ذلك بسبب غطرسة المجتمع الحجازي آنذاك و قهره لحقوق المرأة، حين ينضاف إلى ذلك سيطرة الرجل على المرأة سيطرة كبيرة، جعلت صورتها تتمحي و حقها في الحياة يضيع، ومنه أصبحت عاجزة عن التعبير عن رأيها أو بالأحرى حتى سماع صوتها، و هذا ما صوره لنا الروائي هنا.

أم زكية مثلت من خلال هذه الرواية صورة المرأة الخاضعة لأوامر زوجها و العاجزة عن الوقوف أمام وجهه، ضف إلى أنها برزت بصورة الأم العطوفة الحنونة على أولادها و الحزينة لمرضهم، و هذا ما تجلت في صورة واضحة من خلال صرختها الكبيرة على ابنتها قائلة: "ابنتي العزيزة ... ! آه يا ابنتي ...[1]! ، و غدت تبكي و تنوح على الوضعية التي آلت إليها ابنتها المخبولة.

أم زكية هنا صورها الروائي بصورة حزينة مثيرة للشفقة و حزنها هنا لم يكن إلا بسبب فلذة كبدها ، فهي الحزينة لحزن أولادها و المريضة لمرضهم ، و هي صورة واقعية صورها – الروائي– بكل أمانة و صدق لأنها الأم المضحية و الصابرة و المثالية .

---

[1] – أحمد رضا حوحو "غادة أم القرى" ، ص 46 .

الخاتمة

خاتمة :

من خلال هذا العرض البسيط لصورة المرأة في الرواية العربية التي اتخذنا لها نموذجا هو رواية" غادة أم القرى " لـــلكاتب" أحمد رضا حوحو" توصلنا إلى النتائج التالية :

- أن المرأة في العصور الأدبية و بالخصوص في العصر الجاهلي كان ينظر إليها بشهوة على أنها جسد و ذلك من خلال التصوير الحسي لها و الصورة المادية التي وضعت لها كما تجلى في معظم النصوص التي تعاملنا معها إلا أنه هناك من لم ينظر إليها بتلك النظرة المادية بل صورها معنويا بكل ما يحمل هذا المعنى من مشاعر و عواطف لكن بمجيء الإسلام و تحريمه لمثل هذا التصوير فقد تغيرت نظرة هؤلاء للمرأة ، حيث عملوا على تصويرها معنويا إلا فئة ضئيلة من الشعراء الذين لم يدخل الإسلام قلوبهم ، و هي النظرة نفسها التي رسمها الشعراء للمرأة في ما بعد في العصرين الأموي و العباسي .
- أما عن المرأة في الرواية العربية الحديثة و علاقتها بالواقع فقد تمثلت في الصورة الخاضعة للهيمنة الذكورية و سيطرة الرجل ، فهي – المرأة – المهمشة التي لا رأي لها حتى فيما يخصها ،و فيما يدور حولها ، لكن هذه النظرة تغيرت بمرور الوقت ،حيث أصبحت المرأة شريكة للرجل في الحياة تحمل على عاتقها أعباء المسؤولية ، لقد أثرت الرواية فعليا في واقع المرأة العربية من خلال تغيير نظرتهم لها .
- و نستنتج عن الصورة التي أعطاها الروائي هنا لزكية و التي مثلت صورة المرأة العاشقة ، فهي المرأة الهادئة الخافتة الصوت التي كانت ضحية لحبها المكبوت و عبء العادات و التقاليد عليها من جهة أخرى ، و هو ما أدى بها إلى فقدان عقلها نتيجة للصراخ الذي شب بداخلها.
- أما عن صورة الأم و التي مثلتها جليا أم جميل (فاطمة) فهي الأم الواقعية المثالية ، البسيطة و المضحية و الصبورة ، المحبة للحياة و التي لا تيأس و تظل تكافح إلى أن تنال ما تريد ليحيى أبنائها للعيش بكرامة .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

أ- المصادر :

1- أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، الجزء 4 ،12 ، دار الثقافة ، بيروت لبنان .

2- أبو نواس ، الديوان ، تقديم و شرح ، الدكتور علي نجيب عطوي ، دار و مكتبة الهلال للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأخيرة ، سنة 2000 .

3- أبو شاور رشاد ، البكاء على صدر الحبيب ، دار الحقائق، بيروت ، الطبعة الثانية ، عام 1983 .

4- أحمد رضا حوحو ،غادة أم القرى ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، الطبعة الثانية 1988 .

5- الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) : الديوان شرحه و قدم له مهدي ناصر الدين ، دار الكتب العامة ، بيروت ، لبنان مطابع يوسف بيطوط، الطبعة الأولى سنة 1987.

6- العباس ابن الأحنف : الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت .

7- السباعي ، رواية " فكرة "،عام 1367 ه .

8- النابغة الذبياني : الديوان ، تحقيق و شرح : كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت .

9- جميل بن معمر ، الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر عام 1982 .

10- حسان بن ثابت ، الديوان ،تحقيق الدكتور : سيدي حنفي حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، عام 1984 .

11- طرفة ابن العبد : الديوان ، دار الكتب العامة ، بيروت ،لبنان.

12- عمر بن أبي ربيعة : الديوان ، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ،ط2 ، بيروت ، لبنان.

13- قيس بن ذريح : الديوان جمعه و حققه و شرحه : الدكتور عفيف نايف حاطوم ،دار صادر،لبنان.

14- محمد حسين هيكل: رواية زينب ، نبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ،عام 1957 ، الجزائر .

ب- ***المراجع:***

1- ابن سلام الجمحي : طبقا ت فحول الشعراء ، الجزء الأول ، دار المدني ،جدة 1974.

2- أحمد محمد الحوفي : الغزل في العصر الجاهلي ،دار القلم ، بيروت لبنان،د ت.

3- امرؤ القيس بن حجر الكندي : الديوان لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالإمام الشنتمري ، صححه الشيخ بن أبي شنب ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،1974 .

4- الدكتور حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية 1965-1985 ، دراسة من منشورات اتحاد كتاب العرب ،دمشق سورية 1998.

5- ألف ليلة و ليلة ، الجزء الرابع ، دار صادر ، طبعة كاملة و أصلية ، بيروت ، لبنان، دون تاريخ .

6- آندري برنيان ، آندري نوشي ، إيف لاكوست ، الجزائر للمطبوعات الجامعية ، الجزائر ،سنة 1984 .

7- بنجامين غاستينو ، النساء و العجائز في الجزائر ، باريس عام 1861 .

8- توفيق الفيل : القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى ابن المعتز ،ذات السلاسل ، الكويت

9- حسن الحجاج حسن : أعلام في الشعر العباسي ط1 ، عام 1993 .

10- علي البطل : المرأة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني هجري ، دراسة في أصولها و تطرها ، دار الأندلس ،دت.

11- فرومونتان : الصيف في الصحراء ،باريس ، مكتبة بلون

المواقع الالكترونية:

1- http://gihan.com/v/b/archive/index.php/T11548.HTML.

2- منتديان جيهان (الأدب و الشعر) ، الكتب الالكترونية ، رواية الأم لمكسيم غوركي .

3- http://ZIADTAYYOSI.1955:maktoobblog.

4- http://www.arab.awriters.com/haysi.

المجلات :

التراث العربي : مجلة فضيلة محكمة تصدر عن اتخاذ الكاتب العربي بدمشق ، العدد 115 (رمضان1930هـ) (أيلول 2009) ، السنة التاسعة و العشرون .

فهرس:

مقدمة. أ .

الفصل الأول:

صورة المرأة في الأدب العربي عبر العصور :من الجاهلي إلى الحديث .

I. المرأة في العصر الجاهلي من ص1 إلى 07
1- الصورة المادية
2- الصورة المعنوية
II. المرأة في العصر الإسلامي و الأموي :ص8-13
1- الطائفة الأولى.
2- الطائفة الثانية.
أ- الطائفة الأولى .
ب- الطائفة الثانية.
III. المرأة في العصر العباسي:ص14-17
IV. صورة المرأة في الرواية العربية الحديثة والمعاصرة وعلاقتها بالواقع ص18-23

الفصل الثاني:صورة المرأة في رواية غادة أم القرى.

I. نبذة عن حياة الكاتب.
1- مولده ونشأته
2- شخصيته الأدبية
3- وفاته
4- أثاره
II. تلخيص الرواية
III. صورة المرأةفي رواية غادة أم القرى
1- صورة المرأة العاشقة (زكية).
2- صورة المرأة الأم (أم جميل) .

قائمة المصادر و المراجع .